NEG7-253

حياة
اقبال الشرابي

تأليف

ناجي معروف

عضو مجلس الخدمة العامة

بغداد ـ مطبعة الارشاد
١٩٦٦/٣/١٨

BOBST LIBRARY
3 1142 02824 1605

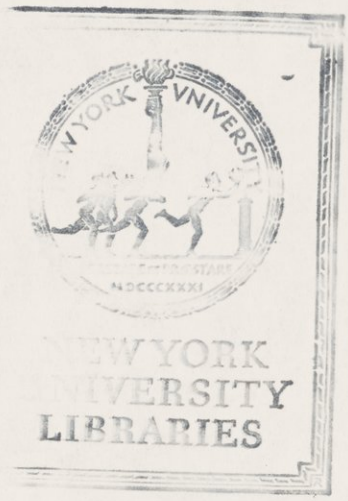

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

Ma'rūf, Nājī.
Hayāt Iqbāl al-Sharābī

حياة إقبال الشرابي

تأليف

ناجي معروف

عضو مجلس الخدمة العامة

بغداد ـ مطبعة الارشاد

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م

Near East
DS
69
.8
.S5
.M3
c.1

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هـذا بحث في سيرة أبي الفضائل شرف‌الدين اقبال الشرابي أحـد رجالات العراق في أواخر الدولة العباسية • وقد كان له أثر فعّال في تسيير شؤون الخـلافة العباسية في عهـد الخليفتين العباسيين الاخـيرين : المستنصر بالله وابنه المستعصم بالله •

لقد كان اقبال الشرابي مقدم الجيوش العباسية على عهدهما • وقد دافع التتار وحاربهم خلال ربع قرن من الزمن • ولم يتجرأ المغول على احتلال بغداد وتدميرها في سنة ٦٥٦هـ الا بعد وفاته بنحو ثلاث سنوات •

وكان هـذا الشرابي في الوقت نفسه ، محبـاً للعلم وأهله مقرّباً للعلمـاء ، ولذلك انشـأ في العراق مدرستين كبيرتين للشـافعية : الأولى ببغداد ، والثانية بواسط • كما انشـأ مدرسة ثالثة للشافعية في الحجاز بمكة المكرمة •

وكان يحب الأفعال الخيرية ولذلك أنشـأ بواسط جامعـاً ، وبمكة رباطاً ، وبِرَكاً وحياضاً للماء • وعُنِي بوجه خاص بعَيْن عَرفة لينتفع بها الحاج •

وكانت له غير ذلك ، آثار حسنة ، ومبرّات دارّة ، وأعمال خيرية ، وهبـات ، وخلع ، ورسوم يفرّقهـا على الناس شرحتها في فصول هـذا الـكتاب •

وقد حاولت في هذا البحث أن استخلص صورة واضحة عن العصر الذي عاش فيه شرف‌الدين اقبال الشرابي ، وان اشرح نفوذ كلمة المماليك ،

والغـرباء في الدولة العباسية ، لاستجلي الأسـباب التي أوْدَت بالخلافة العباسية ، وأدت الى سقوط بغداد ، ونكبتها الدامية المؤلمة ، وزوال حضارتها التي بلغت أَوْجَها في كل ناحية من نواحي الحياة .

وقد جعلت الكتاب في ستة فصول ، بحثت في الفصل الاول منها في مصادر تأريخ الشرابي ومدارسه . وفصّلت القول في عصـر الشرابي ، وسيرته ، ونفوذ كلمته ، وحياته العسكرية ، وأعماله الخيرية في الفصول الأخرى .

ولم ادّخر وسعاً في جمع المعلومات ، والأخبار المتناثرة في الـكتب المخطوطة ، والمطبوعة عن اقبال الشرابي واعماله ببغداد وواسط ومكة ...

وحاولت ألاّ أترك كلمة غامضة ، ولا اصطلاحاً ، الا شرحته شرحاً موجزاً ، أو مفصلاً ليتمكن القارىء من فهم النصوص ، والتعابير المختلفة الواردة في هذه البحوث .

وزيادة في الايضاح ضبطت بالشكل كثيرا من الكلمات والاعلام التي قد يخطأ في قراءتها .

وأخيراً أرجو أن يطلع القراء ، والباحثون على صفحة من تاريخ العراق تكاد تكون مجهولة لدى الكثيرين منا .

والله تعالى من وراء القصد .

المؤلف

ناجي معروف

عضو مجلس الخدمة العامة

الفصل الأول

مصادر البحث في تاريخ الشرابي ،

ان الكتب التي بحثت في سيرة شرف الدين اقبال الشرابي ، وفي مدارسه الشرابية ببغداد ، وواسط ، ومكة المكرمة ، وفي أعماله الخيرية المختلفة قليلة جداً ، يمكننا ان نذكرها بايجاز على الوجه الآتي :

١ ـ الكتاب المسمى بـ (الحوادث الجامعة ، والتجارب النافعة ، في المئة السابعة) • وهو أهم مصدر عن حياة أبي الفضائل اقبال الشرابي • ذلك لانه ذكره في مواطن كثيرة منذ بدء حياته في أوائل القرن السابع الهجري الى حين وفاته سنة ٦٥٣هـ • أي قبل سقوط الدولة العباسية بيد المغول بثلاثة أعوام • كما ذكر مدارسه ، وشرح أعماله الخيرية ، وخدماته للخليفتين العباسيين الاخيرين : المستنصر بالله ، وابنه المستعصم بالله ، بينما ذكرته المراجع الاخرى عرضاً وغاية في الاختصار عدا ابن وهاس الخزرجي الذي أفاض في أخباره في خلافة المستعصم بوجه خاص كما سنوه بذلك في المصدر الثاني والعشرين من هذا الفصل •

٢ ـ تلخيص مجمع الآداب ، في معجم الاسماء والالقاب • لابن الفُوَطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ بجزئيه الباقيين الرابع والخامس • وما جاء فيهما عبارة عن ترجمة لأحد خزّان المدرسة الشرابية ببغداد[١] واربع ترجمات لاربعة من وكلاء الشرابي هم : عون الدين ••• بن سكينة البغدادي[٢] • وعزالدين حسين بن عبدوس[٣] • وعزالدين العكرشي[٤] •

---

(١) ج ٥ ص ١٨٢ الترجمة ٣٦٧ •
(٢) ج ٤ ص ٩٨٠ الترجمة ١٤٥٠ •
(٣) ج ٤ ص ١٢٣ •
(٤) ج ٤ ص ١٤٥ •

وعمر الدورقي[1] ، وترجمة خامسة لعميدالدين الازجي الوكيل ، الذي انضم الى الشرابي في خلافة المستنصر وصار متقدم السبيل الى مكة[2] .

٣ ـ المقامات الزينية . لابن الصَّيْقَل الجَزَري البغدادي المتوفى سنة ٧٠١هـ وقد ورد فيها ذكر لأحد مدرسي الشرابية ببغداد ، وهو القاضي نجم‌الدين القُوساني[3] الذي سمع المقامات الجزرية ، على منشئها برواق المستنصرية سنة ٦٧٦هـ مع جِلة من علماء بغداد ، ومدرسيها يبلغ عددهم نحو (١٦٠) رجلاً في مجالس عشرة ، بمدة شهرين ويومين .

٤ ـ اختيارات الاوقات الزمانية للأعمال الكلية . ألفه علي بن عماد الدين المعروف بابن حراز لمكتبة الشرابي .

٥ ـ ذيل مرآة الزمان . لقطب‌الدين اليُونِيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ وقد ذكر نفوذ كلمة الشرابي ، وسعيه في بيعة المستعصم بالله .

٦ ـ شرح نهج البلاغة . لعبدالحميد بن هبةالله بن محمد بن الحسين المعروف بابن أبي الحديد الشافعي المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٥هـ .

٧ ـ خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سِيَر الملوك . لعبدالرحمن ابن ابراهيم الاِربلي المتوفى سنة ٧١٧هـ .

وفيه ذكر للشرابي عندما بايع المستعصم ، وأجلسه على عرش الخلافة ، وخاطبه بأمير المؤمنين .

٨ ـ الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية . لصفي‌الدين ابن النقيب تاج‌الدين المعروف بابن الطِقْطِقَي الحسيني المتوفى سنة ٧٠٩هـ . وفيه اشارة الى أن الشرابي تمكن من فتح اِربل بعد وفاة صاحبها مظفرالدين كوكبري .

---

(١) ج ٤ ق ٣ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .
(٢) ج ٤ ص ٩١٨ .
(٣) نسبة الى قوسان : كورة كبيرة بين النعمانية وواسط .

٩ ـ المختصر في تأريخ البشر • لاسماعيل ابن الملك الافضل المعروف بأبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ • وقد ذكر بيعة المستعصم بالخلافة ، وذكر أن الشرابي هو الذي قام بها بعد وفاة المستنصر سنة ٦٤٠هـ •

١٠ ـ البداية والنهاية • لعمادالدين اسماعيل المعروف بابن كَثير البُصْرَوي المتوفى سنة ٧٧٤هـ • وفيه ذكر للشرابية ببغداد •

١١ ـ الوافي بالوفيات • لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ ، في الجزء الاول ، الورقة ٣٥٣ من المخطوطة • وفي ج ١٢ ، الورقة ١٢ منها • وقد ذكر الصفدي فيه مدرساً من مدرسي الشرابية ببغداد وهو تاج الدين الأُرموي الشافعي • كما ذكر في الجزء ١٢ في الورقة ١٢ من هذه المخطوطة صلة الشرابي بالمؤرخ البغدادي ابن الساعي ، خازن المستنصرية ، وما كان ينفذه اليه من الذهب على مدائحه له •

١٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى • للشيخ تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن تقي الدين السُبْكي المتوفى سنة ٧٧١هـ • وقد ذكر فيه المستنصر ، وأخاه المعروف بالخفاجي • كما ذكر أن الشرابي ، والدويدار لم يَريا تقليد الخفاجي الأمر خوفا منه ، ولذلك آثرا عليه المستعصم لتكون لهما الكبرياء •

١٣ ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام • للحافظ تقي الدين الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢هـ • وقد ذكر رباط الشرابي بمكة والبئر التي فيه ، وما عمره من بِرَك • وذكر أن اسمه باقٍ على بعض تلك البِرك التي لا يزال بعضها موجوداً حتى اليوم •

١٤ ـ الدارس في تأريخ المدارس لعبدالقادر النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ • وقد نقل فيه ما ذكره ابن كَثير في البداية والنهاية عن الشرابية ببغداد •

١٥ ـ الاِعلام بأعلام بيت الله الحرام • لقطب الدين الحنفي المتوفى في حدود سنة ٩٨٨هـ • وقد ذكر المدرسة الشرابية بمكة • كما ذكر الرباط الذي آلت اليه المدرسة المذكورة فيما بعد •

١٦ ـ شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب • لابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ • وفيه اشارة الى المدرسة الشرابية بواسط ، والشرابية ببغداد ، ورباطه بمكة ، وعَيْن عَرفَة التي اشتهر ذكرها في الدنيا •

١٧ ـ مختصر الدول • لابن العِبْري المتوفى سنة ٦٨٥هـ وفيه اشارات مقتضبة عن وصول النتر الى تخوم بغداد ، وتصدي اِقبال الشرابي لهم سنة ٦٣٤هـ • كما أن فيه اشارة الى غاراتهم على بغداد في أيام المستعصم سنة ٦٤٢هـ •

١٨ ـ وفيات الاعيان • لشمس الدين بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ • وقد ذكر فيه حصار المغول لمدينة اربل في عهد المستنصر سنة ٦٣٤هـ •

١٩ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة • لابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ • وقد جاء فيه : أن الشرابي كان في جملة من قتل في واقعة بغداد ، مع أن المؤرخين أجمعوا على وفاته حتف أنفه سنة ٦٥٣هـ•

٢٠ ـ فوات الوفيات • لابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ •

٢١ ـ دول الاسلام للذهبي المتوفى سنة ٧٦٥هـ •

٢٢ ـ العسجد المسبوك • المنسوب لأبي الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢هـ • وفيه أخبار مفصلة عن جهود الشرابي العسكرية في صد غارات المغول عن بغداد ، وعن خدمته لوالدة المستعصم بالله في أثناء حجها ، وما انفق عليها ، والخلع التي خلعت على الناس بهذه المناسبة ، وما قام به من مبرّات أخرى • ولذلك فان ما جاء في كتاب العسجد المسبوك يعد من أصدق الأخبار ، وأصحها • لأنها في الراجح منقولة عن ابن الساعي الذي

ليس بين وفاته وبين سقوط الدولة العباسية سوى ١٨ سنة فقط • وهي تشبه الى حد كبير الأخبار التي ذكرها مؤلف الكتاب المسمى بـ « الحوادث الجامعة » بل تكاد تكون نسخة منها ، وتزيد عليها في بعض التفصيلات • ولاشك في أن أخبار هذين الكتابين منقولة عن مصدر واحد هو ابن الساعي • وكثيراً ما يذكر ابن وهّاس اسم « ابن الخازن » في نقوله ، ويريد به : ابن الساعي المؤرخ البغدادي الشهير • ومن الغريب ان العسجد المسبوك على الرغم من احتوائه على أخبار مفصلة جداً عن الشرابي أكثر بكثير من كتاب « الحوادث الجامعة » الا أنه لم يشر بكلمة واحدة الى مدارسه الثلاث ، ولا الى جامع واسط ، أو عَيْن عرفة ، ورباطه بمكة المكرمة ، بل اكتفى بقوله : « وله آثار حسنة » •

٢٣ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي : المتوفى سنة ٩١١هـ • وفيه أن الدويدار والشرابي أقاما المستعصم للينه ، وضعف رأيه ليكون لهما الامر •

٢٤ ـ اتحاف الورى في أخبار أم القرى لنجم‌الدين عمر بن فهد • وفيه ذكر لشهاب‌الدين ريحان الذي بنى له المدرسة الشرابية بمكة •

٢٥ ـ مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، لظهيرالدين الكازروني • المتوفى في حدود السبعمئة من الهجرة • وفيها ذكر للشرابي ، وتنويه بسلطانه ، وسيطرته ، وتدبيره للمُلك • ووصف لكيفية توزيعه المبارّ ، نيابة عن مولاه الخليفة •

الفصل الثاني

عصر الشرابي ببغداد

ان لتأريخ الشرابي أهميةً خاصة ، لانه يوضح لنا صفحة غامضة من تأريخ الدولة العباسية في أواخر أيامها ، لمدة نصف قرن تقريباً • وسنُعْنَى بوجه خاص بالفترة التي تبدأ من تأريخ بنائه المدرسة الشرابية ببغداد سنة ٦٢٨هـ • حتى وفاته ٦٥٣هـ •

ان هذه الحِقبة تزدحم بصور مختلفة ، وألوان عديدة ، لعل من أهمها :ـ

١ ـ سيطرة السلطان الأعجمي على الدولة العباسية حتى بعد القضاء على السلاجقة ، وقيام عصر اليَقَظَة العباسية في زمن الناصر ، والظاهر ، والمستنصر ، والمستعصم •

٢ ـ تغلغل نفوذ الخدم ، والمماليك الذين كانوا عند الخلفاء • وهم الذين ينسبون الى كل خليفة من هؤلاء الخلفاء • كالمماليك الناصرية ، والظاهرية ، والمستنصرية ، والمستعصمية • وقد كان لهم النفوذ المطلق في الدولة • وفيهم يتمثل النفوذ السياسي والمالي ، والعسكري ، والاداري • ومن أحسن الأمثلة لنفوذهم السياسي بيعة المستعصم بالله • ولنفوذهم المالي والاقتصادي تلك الثروات من النقود ، والعقارات ، والمزارع التي كانوا يمتلكونها • اما النفوذ العسكري ، والاداري فيتجلى في أرباب المناصب ، والقادة في الجيش ، والزعماء ، والأمراء الكبار ، والولاة في المدن والمناطق • وقد ظل هذا النفوذ طَوال هذه الفترة الى أن آلت الخلافة العباسية الى السقوط بيد المغول بسبب نزاعهم ، وتبذيرهم ثروات البلاد في لهوهم ، وترفهم ، وشؤونهم الخاصة • قال ابن جبير : « ورونق هذا الملك انما هو على الفتيان والاحابيش المجابيب ، منهم فتى اسمه « خالص » وهو قائد العسكرية كلها ، ابصرناه خارجاً أحد الأيام وبين يديه وخلفه امراء الاجناد من الاتراك والديلم ، وسواهم • وحوله نحو خمسين سيفاً

مسلولة في أيدي رجال قد احتفوا به فشاهدنا من امره عجباً في الدهر • وله القصور والمناظر على دجلة »[1] •

٣ – اهمال العنصر العربي حيث لم يكن للعرب شأن يذكر لا في الجيش ، ولا في المناصب الادارية ، ولا في الامارات المختلفة • ولا نستطيع أن نذكر الا عدداً ضئيلاً من رجالات العرب الذين شاركوا في مهام الدولة في هذا العصر الى جانب خلفاء بني العباس •

٤ – إهمال العلماء وفقرهم • وسنرى في الصفحات الآتية أن أمراء الجيش ، والقادة ، والخدم ، والمماليك الذين كانوا يُبتاعون بالمال ، هم أصحاب الكلمة النافذة ، والثروة الطائلة ، وأنهم كانوا يَحْيَوْن حياة رافهة جداً ، وينفقون ما يشاؤون في هباتهم ، وخلعهم ، وصِلاتهم • بينما كان رجال العلم فقراء ليس لهم وكلاء في أملاك ، ولم يحوزوا شيئاً من أرض أو عقار • ولا نستطيع أن نقيس ما كانوا يتقاضَوْنه من مرتبات ضئيلة ، وجرايات قليلة ، بتلك الثروات الخيالية التي كان يمتلكها الخدم ، والمماليك من الامراء ، والزعماء • ويكفي أن نذكر فيما يأتي على سبيل المثال ثروة مملوكين اثنين وفرّاش واحد :

١ – علاء الدين الطيبرس الظاهري • وهو ممن اشتراهم الظاهر • وكان يحصل له من أملاكه التي استجدّها نحو ثلاثمئة ألف دينار • وكانت له دار لم يكن ببغداد مثلها[2] • وكان صداقه على ابنة بدرالدين لؤلؤ عشرين ألف دينار • ووهب له المستنصر ليلة زفافه مئة ألف دينار • ثم ألحقه بأكابر الزعماء ، وأرباب العمايم ، والمشاد[3] ، وأقطعه

---

(١) الرحلة : ص ٢٠٣ طبعة صادر ببيروت •

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٦٥ • وكانت على شاطىء دجلة وقد سكنها الجاثليق بعد احتلال بغداد سنة ٦٥٦هـ ودق الناقوس على اعلاها « الحوادث ص ٣٣٣ » •

(٣) المشادّ : جمع مشدة • جاء في السلوك ص ٤٥٢ قوله : « فقدم له فرس اشهب في عنقهمشدة سوداء ، وعليه كنبوش » •
والمشد : نطاق تشد المرأة به نفسها •
والشد : شال من الحرير يعتم به ، أو يتمنطق • راجع صبح الاعشى ٤ : ٨ •

قُوسان • وكانت تغل له كل سنة مئتي ألف دينار[1] •

٢ ـ مجاهد الدين أيبك الدويدار المستنصري • وقد ملك جزيل الأموال من العَيْن ، والرقيق ، والدواب ، والعقار ، والبساتين ، والضياع مما يتعذر ضبطه على الحساب • وفي ليلة زفافه نُفذ الى داره من أواني الذهب ، والفضة ، والثياب ، والجواهر ما يزيد على ثلاثمئة ألف دينار • وأُنعم عليه في صبيحة تلك الليلة التي دخل فيها بزوجته ثلاثمئة ألف دينار عيناً • الى غير ذلك مما يطول ذكره ، ويتعذر وصفه • وبلغ من الجاه العريض ، والحرمة الوافرة ، حتى انه كان يترفع على وزير الدولة الذي هو نائب الخليفة ، وعلى شرف الدين اقبال الشرابي الذي كان مقدم العساكر • ولم يركب الى أحد سوى الخليفة • وكان في جماعة من أكابر الزعماء ، وأرباب العمائم ، وأصحاب الكُوسات ، والأعلام يقصدونه في داره خدمة ، وتقرباً اليه • وكان يصل اليه من اقطاعه ، وأملاكه ، ومزارعه أكثر من نصف مليون دينار سنوياً[2] •

ويقول عنه أبو الحسن الخزرجي[3] ما يأتي : وفي اليوم الرابع من جُمادَى الآخرة سنة ٦٣٤هـ خُلع على مجاهد الدين أيبك الخاص المستنصري في الحضرة المقدسة المستنصرية ، وقُدم له فرس عربي بعُدة كاملة ، فقبّل حافره • ورفع وراءه أربعة عشر سيفا ، محلاة بالذهب • وخرج بين يديه جماعة من خدم الخليفة ، ووجوه أرباب الدولة • وقصدوا داره بدرب الدواب • وفي اجتيازه بدرب الدواب نُثر عليه الذهب في عدة مواضع • وكان وراءه الأعلام المنعم عليه بها ، والطبول ، وأحد عشر حِمْلاً كوسات مجلدة حمرا • وحِملان نقارات صفرا • وأحد عشر بوقاً طوالاً وقصاراً تركية •••

والمشدة مرادفة للفظة الرقبة ، وهي : رقبة من اطلس أصفر مزركشة بالذهب بحيث لا يرى الاطلس لتراكم الذهب عليها • تجعل على رقبة الفرس من تحت أذنيه الى نهاية عرفه •

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٨١ •

(٢) العسجد المسبوك • الورقة ١٩٢ •

(٣) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٢ ـ ١٥٣ •

وفي عشية هذا اليوم نقل من ديوان الأبنية أحد عشر طبلا ، واحدى عشرة قصعة ، وزوج صَنْج[1] برسم[2] النوبة في الصلوات الثلاث • ولما دخل داره نثر عليه ألف دينار من بابه الى حيث نزل عن مركوبه •

وفي هذه الليلة وهي ليلة الزفاف ليلة الثلاثاء زفت اليه زوجته • وفي اليوم الخامس من جُمادَى الآخرة عرضت الهدايا ، والتحف على الأمير مجاهد الدين • وكانت تتكون من : المماليك الترك ، والخدم الحبوش ، وأنواع الثياب ، والطيب ، والخيل ، وغير ذلك • قدمها جميع الزعماء ، وأرباب الدولة •

وفي اليوم السابع ركب وبين يديه الجمع الكثير من المماليك ، والأجناد ، والأمراء • ورُفع وراءه واحد وعشرون سلاحا • وقدمت الخيل المجنوبة بين يديه • وشُهرت حوله السيوف بأيدي المماليك الترك ، والشاووشية[3] بأيديهم الجواكين[4] الذهب والفضة • وقصدوا دار الخلافة • ومضى راكباً الى باب الأتراك • ثم نزل هناك الى الرواق

---

(١) الصنج ، والصنوج : صفائح مدورة من النحاس يضرب بالواحد على الآخر في أوقات الصلاة ولا تزال مستعملة في أثناء الختان والحفلات الشعبية • وفي الجيش والزواج ، والكشافة وفي الصلاة والعماد عند المسيحيين في العراق •

(٢) يضرب به الطبالون في أوقات الصلوات • وكان في دار الخلافة طبالون يضربون بالطبل في أوقات الصلوات الخمس •
وخيل النوبة : الخيول تربط قرب القصر ويقال للواحدة : فرس النوبة تكون معدة للركوب دوما •

(٣) مفردها : الشاويش أو الجاويش أو الچاووش • وهم الجنود الذين يسيرون أمام السلطان أو النائب للتطريق أي للنداء وتنبيه المارة •

(٤) الجواكين : مفردها جوكان وهو الصولجان الذي يستعمل في لعبة الكرة والصوالجة • أي أنه المحجن الذي تضرب به الكرة • ويمكننا ان نعرف الجوكان بأنه عصاً مدهونة طولها نحو أربعة أذرع أي نحو مترين• وبرأسها خشبة مخروطية ، تزيد على نصف ذراع • ويسمي الجوكان اليوم في الموصل : جاكون • راجع صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٥٨ •

العزيز فخدم[1] وعاد متوجهاً الى داره • وفي عشية اليوم المذكور نفذ له ثلاثة رؤوس من الخيل الجياد العربية من اصطبل الخاص[2] ، ومركب ذهباً ، وكُنْبُوش[3] وغاشية[4] السرج زركش • والجميع مرصع بالجواهر المثمنة • فأسرج بذلك السرج على احدى الخيل المنعم بها • وركب في عشية ذلك اليوم • فخدم • وخرج وقت العشاء الآخرة في الأضواء والشموع • واستمر على هذه القاعدة يركب كل يوم بكرة وعشية الى أواخر أيام المستنصر بالله •

٣ ـ وأما الفرّاش فهو الصلاح عبدالغني بن فاخر المتوفى سنة ٦٤٨هـ • وكان شيخ الفراشين بدار الخلافة • وكان مع خلوه من العلم حسن الملبوس ، ثاقب الرأي ، كثير التنعم ، يتشبه بالملوك في ترتيب داره • وكانت داره تشتمل على عدة حُجر ، في كل حُجرة جارية وخادمة وخادم • ثم رتب لكل جارية شغلا • فواحدة طعامية وشرابية • وأخرى فراشية ، وأخرى غسالة • وأخرى طباخة • الى غير ذلك[5] •

---

(١) خدم : مثل بين يدي كبير من الكبراء •

(٢) اصطبل الخاص أي الاصطبل الخاص بخيل الخليفة • ويطلق عليه أيضا « آخور » وهو بالفرنسية Ecurie •

(٣) الكنبوش : كلمة فارسية معناها : البرذعة توضع تحت سرج الفرس • ويستر بها مؤخر ظهر الحصان وكفله • وتتخذ من الذهب المزركش ، ومنها المزهرة بالريش وغير المزهرة • راجع صبح الاعشى ٤ : ١٢ قال في الحوادث الجامعة : أمطاه المستنصر فرساً بمركب ذهباً ، وكنبوش ابريسماً » •

(٤) الغاشية : لافتة من القماش الفاخر المزركش تمسك من طرفيها • وترفع منشورة بين يدي الفارس اذا مشى • وربما وضعت على صدر الفرس • جاء في الحوادث الجامعة ص ٢١٤ • وتكون البسملة بين يديه • وفي المنتظم ١٠ : ٤٦ ، ٤٨ : وعلى كتفه الغاشية • وفي ص ٢٠ ، ٤٧ : وتحمل له الغاشية بين يديه • وفي صبح الاعشى ج ٤ ص ٧ ـ ٨ ان الغاشية أيضا غاشية السرج • وتكون من أديم أي جلد ، مخروزة بالذهب ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب • تحمل بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب ، يحملها الركاب دار رافعا لها على يديه يلفتها يمينا وشمالا •

(٥) العسجد المسبوك الورقة ١٧٨ • والحوادث الجامعة ص ٢٥١ •

واليك بعض التفصيلات لما أوجزناه عن هذا العصر الذي كان يعيش فيه اقبال الشرابي • فمن الناحية السياسية لم يكن لأولاد الخلفاء ، أو عمومتهم ، أو اخوانهم نفوذ يذكر في الدولة ، وانما كان يؤتى بهم من « دار الشجرة » التي كانوا يقيمون فيها ليبايعوا الخليفة الذي ينصبونه رغم انوفهم ، كما حدث في بيعة المستنصر وفي بيعة المستعصم بالله[1] •

ومن الناحية المالية كانت الثروة كما أسلفنا بيد الخدم ، والمماليك • ولم يستفد منها أولاد الخلفاء ، ولا بنو هاشم عباسيين أم علويين • فقد جاء في كتاب الحوادث الجامعة : أنه زِيْدَ في دور الضيافة في شهر رمضان من سنة ٦٣٠هـ داران احداهما بدار الخلافة لأولاد الخلفاء المقيمين في دار الشجرة ، والاخرى بخربة ابن جردة للفقراء الهاشميين[2] • ويذكر ابن وهّاس في حوادث سنة ٦٤١هـ انه فتحت دار الضيافة بالمشهد الكاظمي لأجل العلويين المقيمين به • وداران بالجانب الشرقي ، والجانب الغربي ، للفقراء العباسيين • ودار بصحن السلام من دار الخلافة لأجل الساكنين بدار الشجرة من أولاد الخلفاء[3] •

ومن هذا القبيل ما جاء في العسجد المسبوك[4] عن الفقراء العباسيين ، والطالبيين • ففي يوم الخميس ١٧ ربيع الآخر سنة ٦٣٣هـ برز من الخليفة المستنصر من خالص مال الطَّبَق[5] ثمانية آلاف دينار ، سُلمت الى الوزير ، وأمر بتفريقها على جهات معينة • فألف دينار للفقراء العباسيين ، وألف دينار للفقراء الطالبيين ، وألف لفقراء مشهد الحسين • وألف للفقراء المقيمين على تربة الامام أحمد بن حنبل ، وقبر الشيخ معروف

(١) خلاصة الذهب ص ٢١٣ و ص ٢١٤ •
(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٤ •
(٣) العسجد المسبوك الورقة ١٦٢ •
(٤) العسجد المسبوك الورقة ١٥١ •
(٥) الطبق : ما يقدم في دور الضيافة من طعام • وكان الخليفة المستنصر قد استخرج له نهرا من دجيل ووقفه على آدر المضيف التي أنشأها في محال بغداد لفطور الفقراء في شهر رمضان • راجع مراصد الاطلاع ج ٢ : ص ٤٧٢ طبعة بريل •

الكرخي • وألف للشرفاء المقيمين بدار الشجرة من دار الخلافة • وألفان للفقراء المجاورين في مشهد الامام علي بن أبي طالب (رض) •

وكان مدرسو المستنصرية في هذا العصر مثلا – وهم من أكبر علماء بغداد بوصفهم يدرسون في أكبر جامعة اسلامية فيها – لايتقاضى الواحد منهم أكثر من (١٢) ديناراً شهريا •

وكان ما يتقاضاه الخُزّان العظام في المستنصرية كابن الساعي ، وابن الفُوَطِي وهما من كبار مؤرخي العراق لا يزيد على (عشرة دنانير) في الشهر • بينما نجد أن :

٤٠٠٠ دينار ينثرها خادم للشرابي على مجاهد الدين أيبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير عند زواجه من ابنة بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وذلك عندما اجتاز باب البدرية ، حيث دار الشرابي ، وديوانه[١] • وذلك عدا ما نثر عليه في عدة مواضع أخرى • ونجد أن :

٢٠٠٠ دينار تنثر على طير انتسب للشرابي •

و٣٠٠٠ دينار أعطاها الشرابي الى الاشخاص الثلاثة الذين أتوا بهذا الطائر من الموصل[٢] •

و١٠٠٠ دينار نثرت على طائر أيضا[٣] •

و١٠٠٠ دينار اخرى نثرت على طائر آخر[٤] •

بينما نُثر ١٠٠٠ دينار و١٠٠٠ درهم عليها اسم الخليفة المستعصم لما بويع[٥] بالخلافة • وأرسل الى كل من جامع المنصور ، وجامع المهدي بالرصافة ، وجامع السلطان ، وجامع فخرالدولة بن المطلب ، وجامع بهليقا[٦] ٥٠٠ دينار و٥٠٠ درهم فقط بهذه المناسبة •

---

(١) الحوادث ص ٩٣ ، ٥٠ •
(٢) الحوادث ص ٩٦ •
(٣) الحوادث ص ١٠٤ •
(٤) الحوادث ص ١٤٣ •
(٥) الحوادث ص ١٦٤ •
(٦) الحوادث ص ١٦٤ والجامعان الأخيران هما من جوامع الجانب الغربي • راجع العسجد المسبوك الورقة ١٧٥ •

ولم تكن للمدرسين الكبار منزلة اجتماعية مرموقة ، كتلك التي كانت للمماليك ، والأمراء من الخدم • فقد كان كل واحد من المدرسين أو القضاة مثلا يُمْطَى بغلة بعُدة كاملة • بينما كان الأمراء المذكورون يُمْطَوْن الخيول المُطَهَّمة بُدتها الكاملة[1] • وتشهر لهم الأعلام ، والسيوف ، والسناجق المذهبة اذا ركبوا[2] • وتغدق عليهم الأموال الوفيرة •

نذكر على سبيل المثال ان كشلوخان بن أيبك الدويدار الصغير استدعي في سادس شهر ربيع الآخر سنة ٦٥٠هـ الى دار الوزير وكان عمره يومئذ تسع سنوات • وشرّف بالأمارة • وخلع عليه • وأعطي فرساً بمركب ذهباً ، وغاشية حمراء • ورفع وراءه سيفان أحضرا من المخزن ، سوى ما أحضر له من دار أبيه من السيوف والدرباشات • وتوجه الى داره في جمع عظيم • ونثر عليه ذهب في عدة مواضع[3] •

وان أباه مجاهد الدين أيبك الخاص المستنصري ركب في يوم الاربعاء غرة شوال أي في أول يوم من عيد الفطر سنة ٦٤٥هـ بعد طلوع الشمس في الأضواء والشموع ••• وكان بين يديه الجُنُب العربيات بالسروج الذهب ، مئتا فرس عليها مئتا مملوك[4] •

وجاء في العسجد المسبوك[5] : ان الأميرين سيف الدين عبدالله وعلاء الدين عبدالله ابني الأمير قيران الظاهري بذلا في شهر رجب سنة ٦٥٢هـ عشرين ألف دينار على أن يجعلا من أرباب الدرباشات والغواشي المرفوعة • وأن يجعل معيشة كل واحد منهما أربعة آلاف دينار في كل سنة فأجيبا الى ذلك •

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٢ والحوادث الجامعة ص ٨١ •
(٢) الحوادث الجامعة ص ١٠٤ ، ١٣٢ ، ١٦٧ والسناجق : رايات صفر صغار • راجع صبح الاعشى ج ٤ ص ٨ •
(٣) العسجد المسبوك الورقة ١٨٠ • والدرباشات : مفردها درباشة وتستعمل في العراق اليوم بمعنى صفاح من الحديد كالقضبان •
(٤) العسجد المسبوك الورقة ١٧٢ •
(٥) الورقة ١٨٤ •

ان أرباب المناصب ، والولايات ، والأمراء الكبار ، وقادة الجيش كانوا كلهم تقريبا من المماليك والخدم ، ممن كانوا يحملون ألقاباً ، وأسماءً لا تمت الى العربية بصلة • ونستطيع أن نتبين مدى تغلغل نفوذ هؤلاء المماليك ، والخدم الذين كانوا يُبتاعون لجمالهم ، وحسن صورهم ، وهيف قدودهم[١] وزرقة عيونهم ، ليصبحوا بعد لأي سادة البلاد • وعلى الرغم من أنهم جميعاً اضيفت أسماؤهم الى « الدين » فاننا نلحظ ضعف الوازع الديني ، والمخالفات الدينية الصريحة • فقد جاء في الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٤٠هـ[٢] ما يأتي : « وفيها اتصل خروج الموكب في عيد الفطر الى الليل • وصلى الناس صلاة العيد قبل نصف الليل قضاء ولم يذكر سبب ذلك » • وذُكر في العسجد المسبوك أن العساكر في عاشر ذي الحجة سنة ٦٤٤هـ ، خرجوا الى ظاهر البلد وصلّوا صلاة العيد وقت غروب الشمس • كما صلّوا صلاة عيد الفطر قريباً من ثلث الليل[٣] ، وذلك في أول شوال من سنة ٦٤٢هـ وكان قد خرج موكب الخليفة في الأضواء والشموع • وأما تقبيل الأرض بحضرة الخليفة مرات عديدة فمن الأمور المألوفة ، وكذلك تقبيل اليد وعتبة باب النوبي ، وحافر الخيل ، والأرض والرغام •

واليك على سبيل المثال قائمة بأسماء ثلاثين من كبار الأمراء وجلة الزعماء الذين كان بعضهم من أرباب العمايم والكوسات :ـ

١ ـ الامير اقباش الذي اشتراه الخليفة الناصر لدين الله بـ ١٥ ألف دينار وهو ابن خمس عشرة سنة ولم يكن بالعراق أجمل منه صورة[٤] •

٢ ـ الامير ايتغدي الناصري التستري التركي : أهداه الأمير مظفرالدين وجه السبع الى سُنْقُر بن عبدالله من خوزستان وجعل أميراً سنة ٦٤٩هـ[٥] •

---

(١) الحوادث ص ١٧ •
(٢) ص ١٨٠ •
(٣) العسجد المسبوك الورقة ١٦٩ ، ١٧٢ •
(٤) التلخيص ج ٤ ص ٦٩٦ والحوادث الجامعة ص ١٧ •
(٥) التلخيص ج ٤ ص ٦٩٦ •

٣ ـ شمس‌الدين أصلان تكين الظاهري زعيم بلاد خوزستان[١] وأمير الحج .

٤ ـ بدرالدين أَيْدُغْمُش زعيم العراق[٢] .

٥ ـ كيكلدي بن قرغوي الناصري وهو من كبار الزعماء[٣] .

٦ ـ علاءالدين الطيبرس الظاهري . وهو الدويدار الكبير المتوفى سنة ٦٥٠هـ[٤] اشتراه الخليفة الظاهر . وأصبح من أكابر الزعماء ، وأرباب العمائم ، والمشادّ . خلع على مماليكه وخدمه ١٧٠٠ خلعة وذلك في شهر رمضان سنة ٦٢٦هـ .

٧ ـ شهاب‌الدين سليمان شاه بن برجم[٥] قتل صبرا في واقعة بغداد سنة ٦٥٦هـ .

٨ ـ نورالدين إيلدكز زعيم تكريت[٦] .

٩ ـ قطب‌الدين سنجر السُّنْقُرِي المستنصري[٧] وهو سنجر الياغر[٨] .

١٠ ـ الأمير علاء الدين أبو شجاع الدكز الناصري المعروف بطاز شحنة بغداد المتوفى سنة ٦٤٥هـ . وكان أميراً كبيراً وزعيماً جليلاً[٩] .

١١ ـ ارغش الناصري الرومي[١٠] .

١٢ ـ بهاءالدين أرغش المستنجدي[١١] .

---

(١) الحوادث ١٦٨ ، ١٠٠ ، ١٢٨ .
والزعيم كمتصرف اللواء في العراق اليوم .
(٢) الحوادث ١٤٢ ، ١٥٠ .
(٣) الحوادث ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٧٤ .
(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٨١ والحوادث ص ١٦٦ .
(٥) العسجد المسبوك . الورقة ١٩٢ والحوادث ص ١٦٧ .
(٦) الحوادث ص ١٦٨ . وقد رسم الاسم في الحوادث الجامعة « الدكز » ج ٤ ص ١٠٠٤ .
(٧) الحوادث ص ١٦٨ .
(٨) الحوادث ص ١٩٦ . وقد تكتب بالباء الموحدة .
(٩) العسجد المسبوك . الورقة ١٧١ والحوادث ص ٤٥ .
(١٠) الحوادث ص ٥٠ ، ٤٥ .
(١١) الحوادث ص ١٣٢ .

١٣ – الأمير شمس الدين أبو المكارم قيران الظاهري المتوفى سنة ٦٤٥هـ وكان من أعيان الأمراء ، وأكابر الزعماء[١] .

١٤ – مظفرالدين بهنام الرومي الناصري زعيم تُستر[٢] .

١٥ – الأمير عزالدين قيصر الظاهري[٣] .

١٦ – الأمير بدرالدين سنقرجه أمير آخور الخليفة[٤] وزعيم خوزستان[٥] .

١٧ – كركر الناصري[٦] ويرد الاسم أيضاً على صورة غرغر ، وقزقز .

١٨ – جمال الدين قشتمر الناصري ، الظاهري ، ثم المستنصري المتوفى سنة ٦٣٧هـ . كان شيخ الأمراء ، ومقدم الزعماء[٧] .

١٩ – جمال الدين بكلك الناصري[٨] .

٢٠ – شمس الدين علي بن سُنْقُر الطويل[٩] .

٢١ – الأمير فلك الدين محمد بن سُنْقُر الطويل[١٠] .

٢٢ – مجاهدالدين أيبك المستنصري وهو الدويدار الصغير[١١] قتل صبراً بسيف التتر سنة ٦٥٦هـ بعد أن أصبح له جاه عريض .

---

(١) العسجد المسبوك . الورقة ١٧١ والحوادث ص ١٦٧ ، ٥٣ .
(٢) الحوادث ص ٦٠ والتلخيص ٤ : ١٠٠٤ .
(٣) الحوادث ص ٩٢ .
(٤) الحوادث ص ٩٢ . والآخور : الاصطبل أو المعلف . وأمير الاصطبل : يكون دونه عدد من الافراد والجنود . وهو كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب ، وأمر ما فيه من الخيل والابل وغيرها مما يعود أمره الى الاصطبلات (راجع صبح الاعشى ٤ : ١٩ و ٥ : ٤٦٠ – ٤٦١) .
(٥) الحوادث ص ١٦٨ .
(٦) الحوادث ص ١١٠ .
(٧) العسجد المسبوك . الورقة ١٥٨ والحوادث ص ١٠٤ ، ١١٠ .
(٨) الحوادث ص ٤٤ ، ١١١ .
(٩) الحوادث ص ٢١ ، ٧٢ .
(١٠) الحوادث ص ١٤ .
(١١) العسجد المسبوك . الورقة ١٥٢ – ١٥٣ و ١٩٢ والحوادث ص ٧٢ .

٢٣ ـ الأمير نصرة الدين أرسلان الناصري[١] .

٢٤ ـ عز الدين أبقرا شحنة بغداد الذي قتل في واقعة بغداد سنة ٦٥٦هـ[٢] .

٢٥ ـ الأمير أبو المظفر باتكين بن عبدالله الرومي الناصري المتوفى سنة ٦٤٠هـ وهو مملوك عائشة بنت الخليفة المستنجد المعروفة بالفيروزجية. أقام بتكريت مدة . وسُلِّمت اليه البصرة ، فأقام بها ٢٣ سنة . وتولى إربل سنة ٦٣٠هـ وحكمها باسم المستنصر[٣] .

٢٦ ـ الأمير أمين الدين كافور الظاهري[٤] وهو من أخص خدم دار الخلافة .

٢٧ ـ مرشد الهندي الخصي . وقد ولاه المستعصم قيادة الجيوش بعد وفاة الشرابي سنة ٦٥٣هـ[٥] .

٢٨ ـ آرتر العراقي[٦] .

٢٩ ـ الأمير كشلوخان بن مجاهد الدين أيبك المستنصري[٧] .

٣٠ ـ زنكي ابن الأمير محمد بن قيران[٨] .

وقد تميز هذا العصر بكثرة المصادرات ، وتفشي الرشوة ، وعزل كبار الموظفين ، والقاء القبض عليهم ، وبيع ممتلكاتهم ، وتفاقم أمر الباطنية ، والشُطّار ، والعَيّارين ، واشتداد النزاع الطائفي ، وكوارث الفيضانات والغرق ، والتفكك الخلقي . والانصراف الى الملاهي ، والقيان والتكاثر في الأموال .

لقد كان المستعصم بالله عفيف الفرج ، لم ينقل عنه أنه عصى الله

---

(١) الحوادث ص ١٣٨ .
(٢) الحوادث ص ٣٢٨ .
(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٦١ والحوادث ص ١١١ ، ١٨١ .
(٤) الحوادث ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ و ص ٢٨ .
(٥) العسجد المسبوك . الورقة ١٩٠ والحوادث ص ٣٢٠ . التلخيص ٣٥٧ .
(٦) الحوادث ص ٢٨ .
(٧) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٠ .
(٨) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٠ .

بفمه ولا بفرجه ولا شرب مسكراً • ولا أخل بصيام الأثنين ، والخميس من كل شهر • وكان يصوم شهر رجب من كل سنة الى أن فارق الدنيا • وكان يحفظ القرآن مواظباً على الصلوات في أوقاتها •

ومما يدل على عفته حادثته مع المغنية البغدادية « لحاظ » وهي مشهورة ذكرها مغنيه صفي الدين الأُرْمَوي[1] قال : « حدثتني لحاظ » قالت : داعبني الخليفة يوماً ونحن في خلوة مداعبة ، وظننت أنه يريد مني بعض الأمر ، فظهر له مني ما يدل على الاجابة فتوَقَّر وقال : ويلك ظننتِ أني جادٌّ • وهل ترين الا المزاح ، نعوذ بالله من المعصية •

اِلا ان المستعصم فيما يظهر لم يكن بصيراً بتدبير الملك ، وَكَل اموره الكليات الى غير الاكفاء[2] • ولم ينفع الناس انصراف القليل منهم الى العلم، والدراسة في المدارس أو التزهد والانقطاع الى الله تعالى في الرُبط ، والمساجد حتى وقعت الواقعة ببغداد سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م فقضت على الجميع[3] •

قال قطب الدين الحنفي النهروالي يصف أهل بغداد في زمن المستعصم : « ••• مرفهون بلين المهاد ساكنون على شط بغداد ، في ظل ثخين ، وماء معين ، وفاكهة وشراب ، واجتماع أحباب وأصحاب فما كابدوا حرباً ، ولا دافعوا طعناً ولا ضربا •• »[4] •

وقال أبو الحسن الخزرجي يصف أهل العراق يومئذ : « واهتموا بالأقطاعات ، والمكاسب • وأهملوا النظر في المصالح الكلية • واشتغلوا بما لا يجوز من الأمور الدنيوية • واشتد ظلم العمال • واشتغلوا بتحصيل الأموال • والملك قد يدوم مع الكفر ، ولا يدوم مع الظلم »[5] •

---

(١) راجع ترجمة صفي الدين الأرموي في كتابنا « تاريخ علماء المستنصرية » •

(٢) خلاصة الذهب ص ٢١٥ •

(٣) لاحظ ذلك في الصفحات الآتية : ١٩٧ ، ٢٧٨ ، ٣٠٤ ، ٣١٧ ، ٣٦٦ ، ٤٠٣ ، ٤٢٣ ، ٤٣٠ ، ٤٥٦ ، من كتاب الحوادث • والورقة ١٧٨ من العسجد المسبوك عن العيارين • وعن المستعصم • الورقة : ١٩١ •

(٤) الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ١٨٠ الطبعة الاوربية •

(٥) العسجد المسبوك • الورقة ١٩٠ • لاحظ القصيدة التي يوردها ابن وهاس في الورقة ١٩٠ ومؤلف الحوادث ص ٣٢١ وقد حذر فيها منشدها وأنذر • ومطلعها :

يا سائلي ولمحض الخير يرتاد اصغ فعندي نشدان وانشاد

الفصل الثالث

سيرة الشرابي

بين سنة ٦١٥هـ وسنة ٦٥٣هـ

لقد سطع نجم اقبال الشرابي في خلافة المستنصر بالله • وظل نفوذه في ازدياد حتى بلغ الذروة عند وفاة المستنصر سنة ٦٤٠هـ • وأصبحت له السيادة التامة في خلافة المستعصم بالله • ولذلك حفلت سيرته بشيء كثير من أمور الدولة العباسية في أواخر أيامها ، في شؤونها العسكرية ، وأحوالها السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية • وهي تطلعنا في الوقت نفسه على الرسوم ، والتقاليد ، والقواعد التي كانت تتبع ببغداد • وسنتناول في هذا البحث كل ما له مساس بحيـاة اقبال الشرابي منذ نشأته حتى وفاته سنة ٦٥٣هـ •

١ ـ الشرابي في صباه :

لقد ذكر جميع المؤرخين الذين ترجموا للشرابي أنه : شرف الدين أبو الفضائل ، اقبال الشرابي[١] • أو الأمير شرف الدين اقبال الشرابي ، المستنصري ، العباسي[٢] • أو شرف الدين اقبال الشرابي ، المستنصري[٣] • أو اقبال الشرابي[٤] • أو الخادم اقبال الشرابي[٥] • أو شرف الدين أبو

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣١٠ ـ ٣١١ • وقد ورد ذكره كثيرا في الكتاب المذكور • والبداية والنهاية ج١٣ ص ١٦١ • والفخري ص ٢٦٧ •

(٢) الاعلام ص ١٦٠ • وشفاء الغرام ج١ ص : ٣٣١ •

(٣) خلاصة الذهب المسبوك ص ٣١٤ وشفاء الغرام ١ : ٣٤٠ •

(٤) الدارس ١ : ١٥٩ • والشذرات ٥ : ٢٦١ •

(٥) النجوم الزاهرة ج٧ ص٥١ •

الفضائل اقبال الخادم الحبشي المستنصري[1] أو الشرابي فقط[2] أو الخاص اقبال الشرابي[3] . أو الاستاذ شرف الدين اقبال الشرابي المستنصري المستعصمي[4] .

ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا تأريخ ولادة اقبال الشرابي بل ذكرت تأريخ وفاته فقط . على أن صاحب الكتاب المظنون أنه « الحوادث الجامعة » ذكر أن هذا الشرابي كان أولاً لعزالدين نجاح الشرابي[5] ثم انتقل الى زوجته بعد وفاته . فاذا علمنا أن هذا عزالدين الشرابي توفي سنة خمس عشرة وستمئة أدركنا أنه كان يومئذ صغيراً بدليل انه لما أفضت الخلافة الى الظاهر بن الناصر سنة ٦٢٢هـ أي بعد سبع سنوات من وفاة عزالدين نجاح ، حملته زوجته الى الخليفة الظاهر فقبّله فأبعده عنه رشيق[6] وأنفذه الى ولده المستنصر . فلما دخل عليه قال له : ما اسمك ؟ فقال : إقبال . فسُرَّ المستنصر بذلك ، واستبشر ، وتفاءل به .

---

(١) العسجد المسبوك . الورقة ١٤٠ .
(٢) الشذرات ٥ : ١٦١ .
(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٧٤ .
(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٧ .
(٥) كان عزالدين يعرف بنجم الدولة . ويسمى «سلمان دار الخلافة» ويكنى أبا اليمن نجاح بن عبدالله التركي ، الشرابي ، الناصري . ويلقب بالملك الرحيم . وقد جعله الناصر لدين الله أميراً لجيوشه . وكان في داره خزانة كتب وقفت بعد موته . وذكر سبط ابن الجوزي انها كانت (٥٠٠) مجلدة وقفها في تربة ام الخليفة الناصر لدين الله . وكتب عليها اسم الشرابي . ولما توفي دفن في تربة أم الناصر . راجع ترجمته في الكامل ، ومجمع الآداب ، والمرآة ، والذهبي .
(٦) لعله تاج الدين رشيق ، خادم الناصر لدين الله ، فقد ذكر سبط ابن الجوزي في « مرآة الزمان » ج ٨ ص ٦٣٥ وابن العبري في كتابه « تاريخ مختصر الدول » ص ٤٢١ أن الناصر فقد بصره في أواخر أيامه . ولما عجز عن النظر فيما يقدم له ، من مطالعات تخص امور الدولة ، استحضر امرأة من النساء البغداديات تعرف بـ (ست نسيم) وقربها ، وكانت تكتب خطا قريبا من خطه . وجعلها بين يديه تكتب الأجوبة . وشاركها في ذلك خادم اسمه « تاج الدين رشيق » . وفي الحوادث ص ٩٧ « ست شمائل » واسمها : شجرة الدر التركية . بدلا من « ست نسيم » .

ولما أفضت الخلافة الى المستنصر بالله سنة ٦٢٣هـ قرب إقبالاً اليه • وقبض على رشيق ، وحبسه • وجعل إقبالاً شرابياً عنده •

وقد أغفلت جميع المصادر الاشارة الى أصل الشرابي الا ابن وهاس الخزرجي فقد ذكر أنه حبشي ، وذلك في أثناء كلامه على بيعة المستنصر قال : « وأمّر على جيوشه ، وعساكره مولاه شرف الدين أبا الفضائل إقبال الخادم الحبشي المستنصري »[١] كما ان هذه المصادر جميعها لم تذكر اسم أبيه الا مؤلف « اتحاف الورى في أخبار أم القرى » فقد ذكر في حوادث سنة ٦٤١هـ انه اقبال بن عبدالله الشرابي المستنصري العباسي •

والشرابي يكون من أكابر الأمرء المؤتمنين • وله مكانة رفيعة • كما يكون تحت يده غلمان برسم الخدمة ، لتقديم أنواع الأشربة من السكر ، والمشروب ، والفاكهة ، في أوان خاصة نفيسة قد تكون من البلّور ، أو الذهب ، أو الصيني الفاخر من اللازَوَرْدِي وغيره[٢] •

٢ ـ تمكنه من دار الخلافة :

ويصفه صاحب الحوادث الجامعة عند وفاته بأنه كان شيخاً شجاعاً كريماً ، شريف النفس ، عالي الهمة • وقد ولاه المستنصر قيادة الجيوش العباسية • واليه يرجع الفضل في اسناد الخلافة الى المستعصم بالله بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله سنة ٦٤٠هـ •

ويظهر أن إقبالاً الشرابي ، كان متمكناً من بلاط المستنصر بالله ، غالبا على أمره هو ، والدويدار • فقد كان لهما الأثر الأكبر في تنصيب المستعصم بالله خليفة بعد أبيه • يؤيد ذلك قول اليونيني في ذيل مرآة الزمان[٣] : أن المستنصر بالله « كان ذا همة عالية ، وشجاعة وافرة ، ونفس أبية ، وعنده اقدام عظيم • واستخدم من العساكر ما يزيد على مئة ألف • وقصدت التتر بلاد العراق في أيامه فلقيهم عسكره • وانتصف منهم ، وهزمهم • وكان للمستنصر بالله أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٤٠ • وفي الأصل وردت أبوالفضائل •
(٢) صبح الاعشى ج ٤ ص ١٠ •
(٣) ١ ص ٢٥٥ •

بالشهامة ، والشجاعة • وكان يقول : إنْ ملّكني الله تعالى ، أمر الأمة لأعبرن بالعساكر نهر جيحون ، وأنتزع البلاد من يد التتر ، وأفنيهم قتلاً ، وأسراً ، وسبياً • فلما توفي المستنصر بالله لم ير الدويدار ، والشرابي – وكانا غالبين على الأمر – ولا بقية أرباب الدولة ، تقليده الخلافة ، خوفاً منه ، لما يعلمون من استقلاله بالأمر ، واستبداده بالتدبير دونهم • وآثروا أن يليها المستعصم بالله لما يعلمون من لينه ، وانقياده ، ليكون الأمر اليهم • فاتفق رأي أرباب الدولة على تقليد المستعصم بالله الخلافة بعد أبيه فتقلدها ، واستبدوا بالتدبير ••• » •

ويقول عبدالرحمن الاربلي[1] : وكان المستدعي له ، والقائم بأمر هذه الا نالة شرف الدين إقبال الشرابي المستنصري رحمه الله • وأجلسه على سُدَّة[2] الخلافة • وخاطبه بأمير المؤمنين •

ويقول عماد الدين بن كثير[3] : وكان القائم بهذه البيعة المستعصمية شرف الدين أبو الفضائل إقبال الشرابي •

وقد ذكر قطب الدين الحنفي[4] بيعة المستعصم هذه فقال : « وكانت وفاة المستنصر بالله لعشر بقين من جُمادى الآخرة سنة أربعين وستمئة • وكتم موته • وخطب له بعد موته الى أن جاء الأمير إقبال الشرابي الى ولده المستعصم وسلّم عليه بالخلافة لعشر مضين من شهر رجب سنة أربعين وستمئة» •

وذكر قصب الدين أيضاً : ان اخاه الخفاجي قد فر الى العربان وتلاشى امره[5] •

لقد عرف المستعصم بالله هذه اليد للشرابي عليه • فلما انتهت الدولة من الحِداد على المستنصر ، وغُيرت ثياب العزاء سارع المستعصم بالله الى

---

(١) خلاصة الذهب المسبوك ص ٢١٤ •

(٢) السدة : سرير الملك أو العرش • وكانت عروش خلفاء بني العباس ببغداد يبلغ علوها سبعة أذرع ، راجع صبح الاعشى ٤ : ٦ •

(٣) البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٦١ •

(٤) الاعلام ص١٦٠ • وفي الحوادث الجامعة انه توفي بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ وأن الشرابي سلم على المستعصم بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه والده • وهذه الارقام أصح من الارقام التي ذكرها قطب الدين الحنفي ، لقرب الاول من الدولة العباسية ، وبعد الثاني عنها بضعة قرون •

(٥) الاعلام ص ١٦١ •

مكافأة إقبال الشرابي ، الذي تمكن من مبايعته بالخلافة بعد وفاة أبيه فخُلع عليه في حضرته[1] . وقلّده سيفين بيده . وقُدم له مركوب من خيل الخليفة في البستان[2] . فخرج راكبا وبين يديه الخدم بسيوف مشهورة فخدمه[3] الامراء ، ومشوا بين يدي مركوبه ، فخرج من باب النُّوبي[4] فلما انتهى الى باب البدرية[5] استأذنه علاء الدين الطيبرس الدويدار[6] وكان راكبا في آخر الامراء في العَوْد الى داره ، فأذن له ، وللامراء . فنزل علاء الدين وعضّده ، وقبل يديه ، وعاد[7] .

ويعطينا مؤلف كتاب الحوادث الجامعة تفاصيل وافية عما بذله إقبال الشرابي ، من جهود في أخذ البيعة للمستعصم بالله . ويمكننا أن نؤكد أن المستنصر بالله لم يَعْهَد قبل وفاته الى أحد بالخلافة . ولعل موته مسموماً كما تذكر احدى الروايات[8] حال دون أن يوصي لأحد من بعده .

---

(١) وكان الخلفاء يخلعون على الوزراء في باب الحجرة . وهي دار عظيمة الشأن ، عجيبة البنيان . واليها يحضرون في أيام الموسم للهناء . أنشأها المستظهر بالله . راجع ياقوت : ١ : ٣٠٧ .

(٢) هو بستان التاج . وكان يطل على دجلة . وكان الخلفاء العباسيون يجلسون في شباك القبة المشرفة على هذا البستان .

(٣) خدمه الامراء : أي مشلوا بين يديه . ويقال خدم في عدة خدمات . أي في عدة وظائف . ويقال : الخدم الجليلة : أي الوظائف الكبيرة . كما يطلق على الخلافة : الخدمة الشريفة .

(٤ و ٥) وهما من أبواب دار الخلافة ببغداد . وقد جاء في صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٣١ أنه كان على حريم دار الخلافة سور كهيئة الهلال ، أو كنصف دائرة . له أبواب أولها : باب الغربة على دجلة . ثم باب التمر ، وهو باب شاهق . ثم باب البدرية (بالقرب من جامع مرجان اليوم) . ثم باب النوبى . وفيه العتبة التي كانت تقبلها الملوك والرسل . ثم باب العامة (ويعرف بباب عمورية) ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه ، الا باب تحت المنظرة التي تنحر تحتها الضحايا . ثم باب المراتب ، بينه وبين دجلة ، نحو رميتي سهم . وكان باب النوبي يوصف بالشريف فيقال : باب النوبي الشريف . ومن الابواب الاخرى : الباب القائمي ، وباب النصر .

(٦) الدويدار : أو الدواتدار ، وهو حامل الدواة الكبير .

(٧) الحوادث الجامعة : ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٨) راجع كتاب السلوك ص ٣١١ .

ومهما كان من أمر فان الغموض يكتنف وفاة المستنصر بالله ، وان حاشيته من المماليك ، والموالي ، والخدم اضطربت وعملت على ألا يفلت الأمر منها عند موته • لذلك لم يكن يعلم بموته حتى ابنه المستعصم الذي ولي الخلافة من بعده ، ولا أحد من أبنائه الآخرين ، أو أهل بيته ، وعمومته • وحتى أستاذ داره مؤيد الدين ابن العلقمي ، ووزيره ابن الناقد لم يكونا على علم بذلك •

لقد توفي المستنصر بالله يوم الجمعة عاشر جُمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ فاستدعى الشرابيُ ابنه عبدالله « أي المستعصم » من مسكنه بلتاج سراً من باب يفضي الى غرفة في ظهر داره • فحضر ومعه خادمه مرشد الهندي فسلَّم عليه الشرابي بالخلافة ، واجلسه على السُّدَة بعد ان شاهد والده مُسَجَّى • وكتم موته فلم يعلم به الا بعض الخدم[1] فلما حضر أستاذ الدار مؤيدالدين أبو طالب محمد ابن العلقمي مؤذناً بالأذان قبل صلاة الجمعة جرياً على العادة ، أُسِرَّ اليه ذلك واستُكْتِم • ثم عرف الوزير نصيرالدين بن الناقد أيضاً • وكُتم الامر الى ليلة السبت حادي عشر الشهر • ثم دفن بالدار المثمنة بدار الخلافة على شاطي دجلة[2] •

ويُفهم مما ذكرناه أنه خُطِب للمستنصر بالجامع في يوم الجمعة الذي توفي فيه مع أنه توفي قبل صلاة الجمعة • وكتم أمره حتى أقبل شرف‌الدين إقبال الشرابي[3] • ويذكر ابن وهاس أنه بويع للمستعصم

---

(١) الحوادث ص ١٥٨ • والعسجد المسبوك الورقة ١٤٠ • وجاء في النجوم الزاهرة رواية أخرى عن تاريخ وفاة المستنصر وهي انه مات في العشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ • والأول أصح باجماع سائر المؤرخين الآخرين •

(٢) الحوادث ص ١٥٥ كما دفن أبوه الظاهر في دار الخلافة أيضا ثم نقل بعد ذلك الى ترب الرصافة • راجع : العسجد المسبوك : الورقة ١٣٨ • والدار المثمنة : أنشأها الخليفة المسترشد • وكان في دار الخلافة دار يقال لها الدار المربعة ، ودار الشجرة • ومن القصور : الحسني والفردوس ، والتاج •

(٣) راجع النجوم الزاهرة ج٦ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦ •

يوم الاحد الثاني عشر من جُمادَى الآخرة سنة ٦٤٠هـ • واستدعي اعمامه فامتنعوا الا الامير حبيب فأنه حضر وبايع[١] •

وجاء في خلاصة الذهب المسبوك أن شرف‌الدين الشرابي اشعر استاذ الدار محمد ابن العلقمي ، والوزير أحمد بن الناقد بذلك • وطلب منهما ستر الحال الى الليل • ثم احضرا ليلا ، وبايعا • ولقب « المستعصم بالله » • واستدعي أحد أعمامه وهو أبو الفتوح حبيب وأُوهم أن جماعة أخوته حضروا وبايعوه • فلما حضر لم يرهم ، فبايع وعاد الى داره بالفردوس • ثم طلب الباقون للمبايعة فامتنعوا • ثم طلب القضاة ، والأمراء ، والولاة لاجل المبايعة • وأشيع ذلك يوم السبت حادي عشر الشهر المذكور •••

وأما اعمامه ، وكذلك عم أبيه ، الممتنعون من الحضور والمبايعة • فاشير باستدامة غلق باب الفردوس الذي يحتوي على دورهم بحيث لا يدخل عليهم طعام ولا غيره ، فبقوا على ذلك ثلاثة أيام فسألوا المبايعة ، وأحضروا فبايعوا •

ومهما يكن من أمر فانه لم يعلن عن موت المستنصر الا بعد أن أحضر أبو الفتوح حبيب فبايع المستعصم بالله • وأحضر بعده عشرة من أولاد الخلفاء فبايعوه • ثم بايعه الوزير ، وأستاذ الدار • ثم بايعه أعمامه[٢] ثم عُين الأمراء لحراسة البلد مخافة الاضطرابات • وطلب الى جميع الأمراء من الشاميين ، والغرباء ألا يركب أحد منهم ، ولا يخرج من داره • فأصبح الناس يوم السبت ، فشاهدوا أبواب دار الخلافة مغلقة وهي : باب النُّوبي ، وباب العامة ، وباب المراتب • ثم أعلن للناس عن وفاة المستنصر ، ومبايعة ابنه عبدالله الذي لُقِّب بالمستعصم بالله •

ثم استُدعي الى دار الوزارة المدرسون ، ومشايخ الرُّبُط ، وأعيان

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٠ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٠٩ راجع خلاصة الذهب ص : ٢١٤ — ٢١٥ والعسجد المسبوك • الورقة ١٦١ •

الناس ، ومضوا الى بستان التاج ، وعليهم ثياب العزاء[1] فبايعوا على اختلاف طبقاتهم . وكان استاذ الدار يأخذ البيعة على الناس ، ويلقنهم لفظ المبايعة . وفي اليوم الثاني دخل الأمراء ، والمماليك كافة وبايعوه . وفي اليوم الثالث كانت البيعة العامة حضرها مَنْ تخلف من الامراء ، والغرباء ، وضروب الناس . وقد وقفوا صفوفا بين يدي الشباك الذي جلس فيه الخليفة الجديد ، وعليه البردة ، والطرحة[2] والقضيب بيده . فلما رفعت الستارة قبّل الجميع الارض . واستُدعي قاضي القضاة عبدالرحمن ابن الدامغاني ، والعدل : النقيب أبو طالب الحسين بن المهتدي الخطيب ، ومدرس النظامية : العدل عبدالله ابن البادُرائي ، وأشهدهم جميعا على نفسه : أنه قد وكل وزيره ابن الأزهر أحمد بن الناقد وكالة جامعة . وأقر القاضي المذكور على حكمه وقضائه ، والنقيب ابن المهتدي على نقابة العباسيين ، وأبا عبدالله الحسين ابن الأقساسي على نقابة الطالبيين .

ثم أحضر المحتسب أبو الفرج عبدالرحمن بن يوسف بن عبدالرحمن ابن الجوزي ، وأُمر أن يصعد المنبر ويقرأ بأعلى صوته : « إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله . يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه . ومَنْ أوفى بما عاهد عليهُ الله فسيوتيه أجراً عظيماً » .

وقد أنشد الشعراء المراثي ، والمدائح . فلما انقضى انشادهم خرج أبو الفضائل إقبال الشرابي المستنصري وبين يديه جمع كثير يبسملون ، وفي يده مطالعة مستعصمية[3] في كيس حرير أسود فناولها للوزير .

---

(١) كانت ثياب العزاء عند العباسيين هي الثياب البيض .

(٢) الطرحة : للقضاة والمدرسين . والطليسان للعدول . والطرحة تلبس فوق العمامة فاذا عزل المدرس أصبح بدون طرحة . وكان اساتذة دار الخلافة وهم الذين يسمون بالاستاذ دارية يلبسون الطرحة أيضا . ولعل الطرحة هي القسم الاعلى من الطيلسان . فالطيلسان يكون على الجسم كالجبة عندنا ، والطرحة تكون على الرأس تغطى بها العمامة . أو تغطي لباس الرأس أياً كان كما يفعل أهل المغرب اليوم . وبذلك فالطرحة بالنسبة الى الطيلسان أو الجبة تشبه القسم الاعلى من « الروب » الذي يلبسه أساتذة الجامعات وهي التي يسمونها : Hood .

(٣) العسجد المسبوك ١٦١ .

وجلس الى جانبه ، فقرأها جالسا لعجزه عن القيام فلم يرتفع صوته • فناولها استاذ الدار محمد ابن العلقمي فقام وقرأها قائماً ، والناس قيام • ومضمونها التأسي والتسلي ، واستشعار الصبر الجميل ، رجاء الثواب الجزيل لقوله تعالى « وما جعلنا لبشر من قبلك الخُلد أفأن مِتَّ فهم الخالدون • كل نفس ذائقة الموت » • والحمد لله تعالى على ما أصاره الينا من الخلافة ، وتقليد أمور الكافة ، والتمكن من البلاد ، والطاعة على جميع العباد • ومَنْ أجدر ممن عمل بقوله تعالى : « ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » • ولم يخطب للمستعصم الا في الجمعة الثانية لبيعته أي في السابع عشر من جُمادَى الآخرة • ونثرت الدراهم ، والدنانير على الخطباء عند ذكره في الخطبة •

ثم وجه الخليفة الخطاب الى الوزير فقال : ولينهض الى الديوان ، وليأمر المستنابين في الأعمال ، بالعدل ، والأنصاف ، والرفق بالرعية ، والحكم بينهم بالسوية ، وازالة ما أحدثه العمال السوء من المكوس[1] ، والتقسيطات[2] ، والمؤن ، والتأويلات[3] فارتفعت الأدعية • ثم نهض الجماعة بعد أن ضرب الطبل • وخرجوا جميعاً •

وفي يوم الأربعاء الخامس عشر من الشهر المذكور حضر السادة الأمراء أعمام الخليفة للمبايعة • فجلس لهم في القبة ، ووقفوا بين يديه بعد أن قبّلوا الأرض خجلاً من امتناعهم ، فقال : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » فبايعوه ، وانصرفوا • وقد وُعِدوا بالأحسان اليهم ، والأنعام عليهم[4] •

---

(١) المكوس : الضرائب غير الشرعية •

(٢) التقسيطات : أخذ الاموال على سبيل القرض •

(٣) التأويلات : أخذ أموال الناس بالطرق غير الشرعية • راجع تجارب الامم ٧ : ٤٠٧ • العسجد المسبوك • الورقة ١٦١ • وجاء في الحوادث الجامعة ص ١٦٢ « الباولات » وهي خطأ •

(٤) العسجد المسبوك • الورقة ١٦١ والحوادث الجامعة ص ١٦٠ – ١٦٢ •

وأرسل المستعصم الى أخيه الأمير أبي القاسم عبدالعزيز حَوِيَة[1] من فاخر الثياب ، وأنواع الملابس ، وحَوِيَتَيْن فيهما عشرون ألف دينار انعاماً ، وصِلة .

وبعد مضي شهر على وفاة المستنصر نقل جثمانه من مدفنه بدار الخلافة الى مدفن أعده لنفسه في مقابر الرصافة بلصق محلة أبي حنيفة . وقد كان تشييعه تشييعاً رسمياً اشترك فيه الزعماء ، والمشايخ ، والمدرسون ، والعدول ، وأرباب الدولة بملابسهم البيض . وحُطَّ الصندوق في شُبّارة طويلة كان يجذف بها خمسة عشر ملاحاً ، في صدرها قبة مجللة بسجاف الكازروني ، المتوفى في حدود السبعمئة من الهجرة . وفيها ذكر اطلس أسود . وكان اِقبال الشرابي ، وأستاذ الدار[2] وابن درة المعمار قد نزلوا فيها ، فوقفوا بين يدي الصندوق فلما وصلوا الى مشرعة الرصافة ، رفع الصندوق على الرؤوس ، وأمتد الناس كلهم بين يديه الى التربة[3] .

وبعد تولي المستعصم الخلافة بثلاثة أشهر ونصف فرقت الخلع الرمضانية في اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة ٦٤٠هـ . وقد فرقت هذه الخلع من المخزن على أربابها ، من خَدَمة الباب ، ومَنْ جرت عادته بذلك . فبلغت ثلاثة آلاف وأربعمئة وعشرين خلعة .

وفي السابع والعشرين منه خلع الوزير على أرباب الدولة ، وحاشية الديوان ، والنواب . وغيرهم فبلغت (١٠١٥) خلعة .

وفي الثامن والعشرين منه خلع شرف الدين اِقبال الشرابي على حاشيته ، ونواب[4] ديوانه ، وخدمه ، ومماليكه ، وغلمان اصطبلاته ،

---

(١) الحوية : محفظة للنقود أو الملابس .

(٢) الاستاذدارية : نشأت في عهد المستظهر بالله . وهي رئاسة ديوان الخليفة الذي يسمى أيضا : الديوان العزيز . واستاذ الدار : بمثابة رئيس القصر الجمهوري أو الديوان الملكي . والملابس البيض : ثياب الحزن

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٧١ ـ ١٧٣ .

(٤) النواب : الرؤساء الاداريون .

فبلغت عدة الخلع من الأطلس المعدني[١] ، والبغدادي ، والعتابي[٢] ، والبقاير المذهبة[٣] ، والعراقي ، والحريري ... والأقبية ، والسرابيش[٤] الذهب . (١٩٠٠) خلعة[٥] . ويلاحظ انها أكثر بكثير من خلع الوزير ، وهي تضاهي خلع الخليفة التي اخرجت من المخزن .

٣ ـ خدمته لوالدة المستعصم عند حجها :

وفي سنة احدى وأربعين وستمئة ، حجت والدة الخليفة المستعصم بالله . وهي أم ولد حبشية اسمها : « هاجر »[٦] وذكر ابن وهاس أنها أم ولد هندية ، وقيل انها حرة[٧] وكان اقبال الشرابي في خدمتها عند ذهابها ، وعند عودها . ويذكر قطب الدين الحنفي أنه كان معه ستة آلاف خلعة . وأنه تصدق بنحو ستين الف دينار . وقد عدت جمال من ركب في تلك السنة فكانت مئة الف وعشرين الف جمل[٨] .

وقد جاءتنا في العسجد المسبوك تفاصيل وافية جداً عن حج والدة المستعصم . ان هذه التفاصيل تزودنا بمعلومات ممتازة عن الرسوم ،

---

(١) الاطلس المعدني : نسبة الى المعدن . ومنه شرف الدين المعدني مؤلف الخطب المعدنية المشهورة . خدم بها المستنصر بالله أي اهداها اليه . راجع المشتبه للذهبي ج ٢ ص ٦٠٢ والاطلس المعدني : اشرطة من الحرير توضع على صدور الخيل مع بعض القطع من المعدن تزين بها سروج الخيل وذلك بخياطتها بقماش السرج .

(٢) العتابي : قماش مخطط بحمرة وصفرة أي انه ملون منسوج من القطن والحرير ينسب الى العتابية احدى محلات بغداد الغربية . وقد اشتهر القماش العتابي في العالم .

(٣) البقاير : مفردها بقيار وهي كلمة فارسية معناها : السجادة السوداء المصنوعة من وبر الابل . وهي أيضا نوع من العمائم الكبار التي كان يلبسها الوزراء والكتاب .

(٤) مفردها : الشربوش : قلنسوة طويلة تلبس في الرأس بدلا من العمامة . وهو والقباء من البسة الاجناد . ويعتبر الشربوش شارة للامراء . والعمامة للقضاة والكتاب وغيرهم . والكلمة معربة عن سربوش الفارسية . راجع الالفاظ الفارسية المعربة ص ٩٩ .

(٥) العسجد المسبوك . الورقة ١٦١ .

(٦) الاعلام ص ١٦٠ .

(٧) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٠ .

(٨) الاعلام ص ١٦١ .

والتقاليد ، والاحتفالات التي كانت تتبع في موسم الحج • وتمدنا باحصائيات طريفة عن المواد التي كانت تخرج من المخزن ، وعن الخلع التي كانت تخلع على الناس مما سنذكره في فصل آخر •

ففي ١٥ شوال سنة ٦٤١هـ وقع الشروع في أمر الحج • وعُين له الأمير أيبك الخاص الدويدار الصغير • وحُملت اليه نفقة أجناد الحج وهي : خمسون ألف دينار •• وأخرجت النوبة[١] المكية ، وكسوة الكعبة الشريفة ، وكسوة حجرة الرسول (ص) ، وصدقة فقراء الحرمين ، ورسوم العرب • ثم أخرجت باقي السُبُل[٢] وهي : سبيل الخاص ، وفيه ٢٠٠ جمل • ثم سبيل المستنصر بالله ، وفيه ١٥٠ جملا • ثم سبيل الظاهر بأمرالله ، وفيه ١٥٠ جملا • ثم سبيل الناصر لدين‌الله وفيه ١٠٠ جمل • ثم سبيل أم الامام الناصر لدين‌الله وفيه ثمانون جملا • ثم سبيل الخلاطية وهي زوجة الناصر لدين‌الله •

وعزمت أم الخليفة المستعصم على الحج في هذه السنة • فلما كان اليوم الثالث والعشرون من شوال خرجت المحفتان والشمسة[٣] • وقد ألبست احداهما في باب الحجرة الشريفة ، والأخرى في باب الطبل • وحملتا من باب الحجرة ، وبين يديها أستاذ الدار ، ووكيل الخليفة ، وجماعة من الخدم ، وحاشية دار الخلافة ، مشاة الى باب البُشْرَى • ثم خرجت جِمال باب الحُجرة وهي ألف ونيف وثلاثون جملا تحمل مختلف المواد من بغداد الى مكة • وقد خصص لكل مادة من المواد التي سنذكر بعضها عدد معين من هذه الجمال • فمنها : عدد معين لحمل صناديق التشريفات والخيم ، والسُرادقات ، والاحرامات المعدة للصدقة ،

---

(١) من معاني النوبة : النوبة الموسيقية أو ضرب البشائر والطبول ، والآلات الموسيقية التي يعزف بها • راجع عن الكسوة العراقية للكعبة في زمن العباسيين ص ١٥٧ من رحلة ابن جبير وص ٧٠ من تاريخ القطبي •

(٢) السبيل : يراد به ان يحج شخص عن آخر نيابة عنه بأجر معين • أي يستنيبه عنه • ولا يزال بعض الحجاج يحجون عن غيرهم من الاحياء أو الموتى • وكان يتولى كل سبيل من السبل المذكورة ، بعض النواب والمتولين • والسبل أيضا : السقايات لشرب الماء وشهرتها عند عند الناس بالسبل أكثر من السقايات •

(٣) المحفة كالهودج • والشمسة هي المظلة ، وهي عبارة عن قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب تحمل على رأس الخليفة أو السلطان في العيدين • راجع صبح الاعشى ج ٤ ص ٨ • =

والكسوة ، وأنواع الأطعمة ، والأشربة ، والحلوى ، وخشكنان وسكر أبْلُوج[1] ، وجزار الخزف، وأواني الزجاج ، والمحابر ، وحوائج المطبخ، وآلة الحلاويين ، والقصابين ، والخبازين ، والصناديق التي بها الماء العذب ، وعلف الجمال • ومنها ما كان يحمل الخدم ، والصدور ، والوكيل • والشحنة ، والطباخين ، والسقايين ، والمواد المتفرقة •

وخرج في خدمة هذه الجهة[2] ٢٩ خادما ، ومقدم عليهم الاستاذ كافور الظاهري • وحضر زعيم الحاج أبو الميامن أيبك المستنصري في مماليكه ، الى دار الخلافة فكُسِي على باب الحجرة كسوة فاخرة • وخرج والقرابين بين يديه ، متوجها الى الجانب الغربي • وقصد تربة أم الناصر لدين الله على عادة أمراء الحج •

وجاء في الحوادث الجامعة أن أم الخليفة السيدة « هاجر » خرجت من بغداد منحدرة في شُبّارة[3] الخليفة الى « دَرْزِيجان »[4] متوجهة الى الحج • وخرج الخليفة لوداعها • فلما نزل السُّرادق نثر عليه اِقبال الشرابي ذهباً كثيراً • ولم يكن الخليفة قبل ذلك سافر سفراً نزل فيه مخيماً • ولما وصل الخليفة الحلة[5] ، ودخل الدار التي على شاطىء الفرات نثر عليه الشرابي ذهباً كثيراً أيضاً • ثم توجه الى الكوفة • ودخل

= والشمسية : ستارة من الديباج الاحمر مربعة الشكل تعلق على باب الكعبة • ويراد بها الكسوة أو الستور •

وأول من عمل الشمسية المتوكل على الله فقد بعث بسلسلة من ذهب كانت تعلق مع الياقوتة التي بعثها المأمون وصارت تعلق كل سنة في وجه الكعبة وكان يؤتى بالسلسلة في كل موسم وفيها شمسية مكللة بالدر والياقوت والجوهر قيمتها شيء كثير فيتقدم بها قائد يبعث به من العراق فتدفع الى حجبة الكعبة ويشهد عليهم بقيدها •

(١) وهو المعروف عندنا بـ « سُكّرنبات » •

(٢) الجهة : يقال لزوجات الخلفاء وبناتهم : الجهة ، أو الجهة الصالحة ، والستر الرفيع ، والحجاب المنيع • والستر الاشرف ، والجناب الارأف •

(٣) الشبارة : سفينة أو قارب سريع فيه عدد من الملاحين كان يستعمل ببغداد في نهر دجلة •

(٤) قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة في الجانب الغربي • وهي احدى مدن المدائن • منها كان والد ابي بكر الخطيب مؤلف تأريخ بغداد • راجع « ياقوت ٢ : ٤٥٠ » •

(٥) الحلة : مدينة عراقية تعرف بالجامعين بناها سيف الدولة صدقة

جامعها • وقصد مشهد علي بن أبي طالب (رض) •

فلما توجه الحاج الى الديار الحجازية ، ودع الخليفة والدته • وعاد الى بغداد • وقال ابن وهاس في العسجد المسبوك : « وفي تلك السنة توجهت الجهة أم الخليفة منحدرة في دجلة • وتوجه الخليفة نحو الحلة مودّعا زايراً ليلة السبت التاسع والعشرين من شوال • فدخل الكوفة في يوم الأربعاء الثالث من ذي القعدة • ودخل جامعها • وقصد مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام زايراً • وعاد الخليفة بعد الوداع •

وكان جملة ما خرج في الاقامة في مدة سبعة أيام من الخبز اثنان وخمسون ألف رطل وستمئة وثمانون رطلا • ومن الشعير برسم قضم الكُراع سبعة وثلاثون كُرّاً • ومن الغنم برسم المطابخ تسعمئة وخمسون رأسا • ومن الذهب في حوائج المطبخ مئتان وستة وعشرون ديناراً •

وكان جملة ما فرّقه الشرابي على الزعماء ، والمماليك ، والحاشية ، وما نثره على الخليفة حين دخل ديوانه بالحلة خمسة عشر الف دينار وستمئة دينار ونيف وسبعون خلعة[1] •

وجاء في الحوادث الجامعة[2] في حوادث سنة ٦٤٢هـ أن اقبالاً الشرابي تقدم الى وكيله عزالدين حسن بن عبدوس بالمسير الى واقصة[3] ليلقى والدة الخليفة المستعصم عند عَودْها من مكة المكرمة • وأنفذ معه تسعين جملا عليها تشريفات[4] وحلواء ، وحوائج وغير ذلك • ثم طلب

ابن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي في سنة ٤٩٥هـ • وكان المستعصم يخرج اليها للنزهة فقد ذكرها صاحب الحوادث في صفحة ٢٦١ في أخبار سنة ٦٥٠ قال : وفيها انحدر الخليفة المستعصم الى واسط متنزها • ثم سار الى الحلة وفي خدمته فخرالدين الدامغاني صاحب الديوان ، وكان قد بني له في الحلة دارا على شاطيء الفرات ، فاستحسنها ، وأقام بها ثلاثة أيام • وعاد الى بغداد •

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٣ •

(٢) ص ١٩١ ـ ١٩٢ •

(٣) واقصة : بكسر القاف ـ منزل في طريق مكة مما يلي العراق • راجع مراصد الاطلاع في مادة واقصة • ويقول القزويني المتوفى سنة ٦٨٢هـ : بها منارة من قرون الوحش وحوافرها بناها السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان • ويقول ان المنارة باقية الى الآن (قبل ٦٨٢هـ) راجع آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٨٠ •

(٤) التشريفات مفردها : التشريف وهو لباس يخلع على شخص له =

الى صدر المخزن[1] فخرالدين محمد بن أبي عيسى الشهراباني ، ومشرفه عميدالدين منصور بن عباس الدُّجيلي بالتوجه أيضا ، وأن يستصحبا ما اعداه من الاِقامات[2] فتوجها فلقيا الحاج في منزل القادسية .

أما أبو الحسن الخزرجي فيذكر في العسجد المسبوك أن الاِقامات جهزت في المحرم من سنة ٦٤٢هـ لتلقي أم الخليفة عند عَوْدها من الحج . ويذكر أن حسين بن عبدوس وكيل اِقبال الشرابي خرج بمئة جمل عليها حلوى وأطعمة مختلفة ، وخلع . منها : خمسة أحمال صناديق فيها بقايير قصب بمغربي وعراقي وحريري ... نُفذت صحبة مرشد الشرفي أحد خدام الشرابي ، وأمرا أن يسيرا الى أن يلقيا الحاج ويوصلا ما معهما الى سرادق المحفة[3] .

وفي الثالث والعشرين منه خرج صدر المخزن محمد بن أبي عيسى الشهراباني ، ومشرفه منصور بن عباس ، الى تلقي المحفة وصحبتهما ٥٥ جملاً فيها ٢٩ جملا عليها صناديق منها :

١٦ جملا عليها (٩٢٩٠) قطعة خُشْكُنان[4] ، وأقراص كبار .

و٢٠٠٠ قطعة صغار منقوشة .

و١٣ جملا عليها ٦٦٣ بطة حلوى صابونية .

وجملان عليهما ٩٠٠ رطل سكراً أُبْلُوجا[5] .

وجمل عليه ٣٠٠ رطل شمعا .

= خدمة أو منزلة رفيعة . ويقال لها : التشاريف أيضا . تقول : وصل اليه تشريف أبى ان يلبسه . وامتنع من لبس التشريف .

(١) صدر المخزن : رئاسة المخزن اشبه بوزارة المالية والتموين ويقال له : المخزن المعمور .

(٢) الاقامات : مفردها الاقامة وهي : أنواع من المؤن .

(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٤ .

(٤) الخشكنان والخشكنانج يظهر انها حلويات من أنواع الفطائر . وجاء في المعرب ص ١٤٣ دقيق الحنطة اذا عجن بشيرج ، وبسط وملىء بالسكر واللوز والفستق وماء الورد ، وجمع وخبز .

(٥) أبلوج . يظهر انه « السكر نبات » المعروف عندنا وهو فصوص صلبة على هيئة البلور وفي الالفاظ الفارسية المعربة ص ٢٦ : هو عصير السكر المطبوخ ثلاث مرات .

وتوجها فلقيا الحاج بالقادسية فسلما ما كان معهما الى الوكيل ، العدل أبي الحسين ابن النيّار .

ويقول ابن الساعي : قرأت بخط صدر المخزن ما هذا صورته : الله المشكور . المحمول من الاقامات الشريفة من المخزن المعمور اثنان وخمسون جملا . ثم يفصل ما على هذه الجمال ، وما كانت تحمل من كميات من الحلاوة ، والخشكنان ، والشمع ، والسكر ، والليمون[1] ، والنشا ، والزعفران ، وحب الرمان ، وحوائج المطبخ من سُمّاق ، وماء حصرم ، وزبيب ، وأبازير ، وعدس ، ودقيق[2] .

وعزم الخليفة على التوجه الى الكوفة للقاء والدته ، فعرض له مرض منعه من ذلك . فطلب الى أرباب المناصب كافة بالخروج الى « فراشا »[3] فخرجوا ، ما عدا الوزير نصيرالدين بن الناقد لعجزه بسبب مرضه . فساروا الى زَرِيران[4] فوجدوا السراقات بها . فكان كل واحد من الجماعة ينزل على بُعْد ، ويستأذن بالحضور فيؤذن له . فاذا حضر قبّل الأرض بباب السُّرادق فيخرج أمين‌الدين كافور الظاهري ويقول له : قد عرفت خدمتك . أو ما هذا معناه ، ويأذن له في العَوْد .

وذكر ابن الفُوَطي[5] : ان والدة المستعصم بالله حجت سنة ٦٤٢هـ . وقال أيضاً : ان المستعصم بالله كان « ملازما لصوم الاثنين والخميس دائما » . وحجت والدته ، وبلغت النفقة عليها في ذهابها ورجوعها مئة ألف دينار[6] .

---

(١) وقد تسقط نونه فيقال : الليمو كما في الحوادث الجامعة ص ١٩٢ . ادي شير ص ١٤٢ .

(٢) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٤ .

(٣) فراشا : قرية من قرى بغداد ينزلها الحاج : ـ ياقوت ٤ : ٢٤٣.

(٤) زريران : قرية على جادة الحج اذا أرادوا الكوفة من بغداد « ياقوت ج ٣ ص ١٤٠ » .

(٥) التلخيص ج ٥ ص ٢٤٩ الترجمة ٥١٨ .

(٦) التلخيص ج ٥ ص ٥١٣ الترجمة ١٠٧٨ . وكانت وفاة أم المستعصم في يوم الاثنين ١٥ ذي القعدة . وقد خرج لتشييعها أرباب الدولة وذوو المناصب كافة . راجع العسجد المسبوك . الورقة ١٧٢ .

المبذخ والنفقات والهبات والجمع التي خلعها الخليفة المستعصم بالله ، وإقبال الشرابي ورجال الحاشية ، وغيرهم عند ذهاب والدة الخليفة للحج ، ورجوعها الى بغداد . كما أن في هذه الحجة صورة للمراسيم ، والعادات ، والتقاليد ، والاستعدادات التي كانت تتبع يومئذ كما أسلفنا . فقد جاء في الحوادث الجامعة[1] أن والدة الخليفة وصلت الى «زَرِيران» واستراحت فيها . ثم نزلت الى الشُبَّارة ليلا بعد الانتهاء من مراسيم الاستقبال ، وأُصعدت الى بغداد . وكانت قد خلعت على الأمير مجاهد الدين أيبك الدويدار أمير الحاج . وأمرت له بخمسة آلاف دينار ، وعلى حسن الدين قيران ، وأمرت له بألف دينار . فلما ترك الحاج بظاهر التربة بالجانب الغربي نُفذ شرف الدين عبدالله ولد تاج الدين عبدالله ابن النيار وكيل والدة الخليفة ، والعدل ضياء الدين عبدالوهاب بن سُكينة الخازن ، وابن بكران نائب الوكيل . وضربت لهم خيمة خلف التربة وخلعوا على كل من كان في خدمتها من النواب ، والأتباع ، والفراشين ، والمحفّدارية ، والجمّالين ، والسقائين ، والحُداة ، والسّاقة ، والنفاطين ، والحراس .

ويذكر أيضاً أن فخر الدين ابن المخرّمي صاحب الديوان ، حمل اليها من البصرة ستة عشر جملا عليها حلوى ، وأقراص ماء الليمون ومخلط[2] ، وبُسْر مطبوخ ، وماء الورد ، والخلاف[3] ، وقشر الطلع ، وشربات[4] ، ومراكن[5] ، وليمون أخضر ، وأترج ، وتفاح ، وكمثرى ،

---

(١) ص ١٩٢ . والعسجد المسبوك في حوادث سنة ٦٤٢هـ .

(٢) المخلط : وهو أنواع من الفواكه المجففة بالسكر . ولا تزال الكلمة مستعملة ببغداد حتى اليوم بمعنى خليط من أنواع الحلويات اليابسة من كل جنس . وذكر ابن الجوزي في ١٠ : ٢٧٥ دكاكين المخلطيين ببغداد .

(٣) الخلاف : لعله ثمر يستخرج من شجر الخلاف لطيب رائحته اما للشرب أو للتطيب . اما البسر المطبوخ فهو ما نسميه اليوم بـ (الخلال المطبوخ) ولا يزال ذلك معروفاً في البصرة .

(٤) الشربات : مفردها شربة وهي القُلّة من الفخار لتبريد الماء .

(٥) المراكن : وهي الاوعية العميقة . ومفردها : المركن . تتخذ لحفظ الاثمار والبقول الطرية . وتكون من الرصاص أو الخزف أو الفخار ، أو الخشب .

وخوخ ، ونارنج ، ورمان ، وعنب ، وباذنجان ، وماء الليمون ، والحصرم ، وخل العنب مصعّدا[1] وغير مصعّد ، وحصر بصرية ، وسجادة رفيعة .

ويذكر أبو الحسن الخزرجي : أن أبا سعيد المبارك ابن المخرّمي وكان يومئذ بالبصرة ، قد أرسل ستة عشر جملاً محملة بمختلف الحوائج ويقول : وكان من جملة ما عليها : خشكنان وأقراص ، وكليچا ، ومخلط ، وماء الورد ، وماء الخلاف ، وكش الطلع[2] ، وشربات رفاع ، وليمون أخضر ، وأترج ... ثم يقول : فلقيهم ذلك في الثعلبية[3] .

ونفذ لهم من ديوان الكوفة كميات كبيرة جداً من الخبز ، والجريش للجمال ، والشعير ، ومن القار ، والنفط ، ومن الدجاج **٥٧٥** قطعة . ومن الطيور والحمام لأجل المهام **٣١** طائراً .

ثم خرج الأستاذ مرشد الهندي المستعصمي وصحبه جماعة من الخدم ، وعدة من المماليك الأتراك ، ومعه **(١٦)** صندوقاً آخر أخرجت من دار التشريفات ، وسلمها الى الوكيل . وعاد ، فأخبر بوصولهم الى الكوفة . فخرج كافة أرباب الدولة ، وذوو المناصب ، لتلقي المحفة . وخرج أستاذ الدار أبو طالب محمد ابن العلقمي . وخلع على أمير الحاج كسوة فاخرة ، وعلى كافة الجماعة المسافرين صحبة المحفة ، على قدر مراتبهم .

وفي أول صفر دخلت السُّبُل . فدخل سبيل الخاص المعروف بسبيل الفقير . ثم تلاه سبيل المستنصر بالله . ثم سبيل الظاهر بأمر الله . ثم سبيل الناصر لدين الله . ثم سبيل الخَلاطية زوجته . ثم سبيل الشرابي[4] .

٤ ـ أصحاب الشرابي وخواصّه :

ويظهر أن شرف الدين الشرابي ، كانت له حاشية كبيرة ، وأصحاب

---

(١) المصعد : المقطر .

(٢) لاتزال « الكليچا » وهي نوع من الخبز المعجون بالسمن والحليب والسكر والجوز أو اللوز مستعملة في العراق وكذلك « كش الطلع » وهو طلع النخل وثمره عند أول طلوعه . وجاءت في الحوادث ص١٩٢ « قشر الطلع » .

(٣) الثعلبية : من منازل طريق مكة من الكوفة : راجع ياقوت ٢ : ٧٨ .

(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٤ .

عديدون ، كانوا يحضرون في الاحتفالات ، والمناسبات المختلفة • كما كانت له ثروة عظيمة ينفق منها بكرم منقطع النظير على الأعمال الخيرية التي أسلفنا ذكرها ، وعلى المدارس التي أنشأها ، وعلى الخلع على الأمراء ، والناس كافة •

وقد جاء ذكر أصحابه غير مرة في كتاب « الحوادث الجامعة » • فقد ذكرهم عندما وصل رسول من بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل في سنة ٦٣٢هـ لتزويج ابنة بدرالدين لؤلؤ بمجاهدالدين أيبك الخاص المستنصري المعروف بالدويدار الصغير • قال : وحضر أصحاب الشرابي في حفلة الاملاك المذكورة ، والدعوة العظيمة التي عملت يومئذ[١] •

وكان لاقبال الشرابي منزلة كبيرة في دولة المستنصر بالله • فقد كان يحضر عنده الامراء الكبار ، ويخلع عليهم ، وعلى أصحابهم • جاء في الحوادث الجامعة[٢] أن الأمير ركن‌الدين اسماعيل بن‌بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل وصل بغداد في سَلْخ شهر ربيع الأول سنة ٦٣٣هـ ومعه عدد من الأمراء • وحضر في سابع عشر ربيع الآخر من سنة ٦٣٣هـ بالبدرية عند شرف‌الدين اقبال الشرابي فخلع عليه ، وعلى جميع أصحابه ، بذهب كثير ، وخيل ، وتحف ، وهدايا •

ومن أصحاب الشرابي : بدرالدين أيدُغْمُش الذي أخذه الخليفة صغيراً لما فتحت اربل • واعتنى شرف‌الدين اقبال الشرابي بتربيته • فأدبه ، وجوّد خطه ، وحفّظه القرآن الكريم ، والمقامات الحريرية • واشترى له الأملاك السنّية • وزوّجه على ابنة الأمير شمس‌الدين أصلان تكين • وبنى له داراً بدرب حبيب ، فيها عدة حجر ، وبستان ، وحمام • واعطاه ليلة الزفاف سنة ٦٣٨هـ ثلاثة آلاف دينار • وفي صبيحتها لم يبق من خواص الخليفة ، واقبال الشرابي الا ومدّ له شيئا ، وأهدى له هدية[٣] •

---

(١) الحوادث الجامعة ، ص ٧٢ •
(٢) الحوادث الجامعة ص ٧٩ ـ ٨٠ •
(٣) الحوادث الجامعة ص ١٤٢ •

ومن أصحابه أيضاً : الأمير أمين الدين كافور الخادم الظاهري الذي توفي سنة ٦٥٣هـ • أي في السنة التي مات فيها إقبال الشرابي • وكان كثير الخير ، والصدقات ، والمواصلات • وقد حج مراراً كثيرة • وتولى التشريفات • وكان قريبا من إقبال الشرابي ، حاكما في دولته[١] •

ويذكر صاحب كتاب الحوادث الجامعة[٢] ان شهاب الدين ريحان الخادم كان لإقبال الشرابي أيضاً • وكان قريباً اليه • وكان ذا فضل ، وأدب ، ومروءة ، وكرم • وكانت وفاته في سنة ٦٥١هـ • وهو الذي بنى له المدرسة الشرابية والرباط بمكة كما ذكر ذلك نجم الدين عمر بن فهد[٣] •

ومن خدام الشرابي المنسوبين اليه : مرشد الشرفي • وهو الذي نفذه الشرابي مع وكيله عزالدين حسين بن عبدوس مع الخلع التي أعدت لاستقبال والدة الخليفة المستعصم عند عودها من الحج سنة ٦٤٢هـ • ويظهر أنه هو الذي ولاه الخليفة رئاسة جيوشه بعد وفاة إقبال الشرابي سنة ٦٥٣هـ[٤] •

٥ ـ تشريفه الناس بلباس الفتوة :

وكان إقبال الشرابي يشرّف الأمراء بلباس الفتوّة[٥] نيابة ووكالة عن الخليفة المستنصر بالله • فقد جاء في الحوادث الجامعة[٦] أن الأمير نورالدين أرسلان شاه بن عمادالدين زنكي صاحب شهرزور ، وصل الى بغداد في

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٠٠ •
(٢) ص ٢٧٠ •
(٣) اتحاف الورى في اخبار أم القرى في حوادث سنة ٦٤١هـ •
(٤) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٤ •
(٥) الفتوة : كان الملوك في زمن الناصر لدين الله العباسي يلبسون سراويل الفتوة ، ويشربون كأسها • وقد وردت عليهم الرسل بذلك ليكون انتماؤهم له • وأمر كل ملك ان يسقي رعيته شربتها ، ويلبسهم سراويلها • وأحضر كل ملك قضاة مملكته ، وفقهاءها ، وامراءها ، وكبراءها وألبس كلا منهم سراويل الفتوة ، وسقاه كأسها • وكانت الكأس ترسل الى الكبار ليشربوها • وشربة الفتوة : كأس من الماء المذاب فيه قليل من الملح •
(٦) الحوادث الجامعة ص ٩٨ •

خامس صفر من سنة ٦٣٤هـ • وبعد أن استقر ببغداد هو وأصحابه استدعي في حادي عشر الشهر الى البدرية حيث دار إقبال الشرابي ، وديوانه ، فحضر عند شرف‌الدين إقبال الشرابي فشرّفه بلباس الفتوة ، وخلع عليه •

وفي السنة نفسها حضر عنده بالبدرية أيضاً عبدالله الشارمساحي مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية وأنعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة[١] •

٦ ـ هبات الشرابي :

ولما وصلت ابنة بدرالدين لؤلؤ لتزف الى زوجها مجاهدالدين أيبك المستنصري ، خلع الخليفة على مجاهدالدين بين يديه• ولما توجه الى داره واجتاز بباب البدرية نثر عليه خادم من خدم إقبال الشرابي أربعةآلاف‌دينار في طبقين من فضة • ومن الغد عرضت عليه الهدايا من جميع الزعماء ، وأرباب الدولة ، وخدم الخليفة ، وسائر المماليك ، ثم الوزير ، وإقبال الشرابي ، وأستاذ الدار ، والدويدار الكبير • وكانت اولى الهدايا هدية شرف‌الدين إقبال الشرابي الخاص • وكانت خمسة عشر فرساً من العربيات السُّبَّق ، مجللة بالثياب ، وكمية كبيرة من فاخر الثياب الأطلس في ستين بَقْجة[٢] وصندوق لطيف قيل إنه كان به من أنواع الطِّيب ، وستة مماليك ترك ، وما حمله عشرة مماليك من القِسِيّ ، والسيوف ، وآلة الحرب • فقبل الجميع • وخلع على الخادم الواصل به • وأعطاه خمسمئة دينار[٣] •

وذكر صاحب الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٣٤هـ أن الأمير ركن‌الدين اسماعيل بن بدرالدين لؤلؤ أرسل خادمه بِشراً ومعه نفران من رماة

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٩٠ ـ ٩١ • وترد « الشرمساحي » والصحيح ما ذكرناه •

(٢) « البقجة » كلمة فارسية معناها الصرة من القماش توضع فيها الثياب ولا تزال مستعملة عندنا بهذا المعنى حتى اليوم •

(٣) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٢ ـ ١٥٣ •

البندق[1] الى بغداد ومعهم طائر قد صرعه وانتسب ذلك الى شرف الدين اِقبال الشرابي • فقبله وأمر بتعليقه ، فعُلق تجاه باب البدرية • وأمر أن ينثر عليه الفا دينار • ثم خلع على الخادم ، والواصلين صحبته • وأعطاهم ثلاثة آلاف دينار •

ومن هباته ما ذكره أبو الحسن الخزرجي قال :

في يوم الأربعاء ١٨ شعبان سنة ٦٥١هـ ولد للخليفة المستعصم بالله ولد سماه محمداً وكناه بأبي نصر ، فحضر خادمان وبشّرا شرف الدين الشرابي فخلع عليهما خلعتين مذهبتين وأعطى كل واحد منهما خمسمئة دينار • ونفذ للقابلة بألف دينار • وخلع على كثير من الحواشي ، وأرباب الخدم • وفرّق الأموال الجزيلة • قال ابن الخازن : وفي هذه السنة عمت الخلع خلقاً كثيراً زيادة على المعتاد ووصل اليّ من ذلك خمس خلع[2] •

٧ ـ اخلاصة للمستنصر :

وللشرابي مواقف رائعة تدل على التصرف الحسن ، والاخلاص للخليفة المستنصر • فقد ذكر صاحب الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٣٧هـ أن قطب الدين سنجر بن عبدالله المستنصري هرب من بغداد ومعه جماعة من

---

(١) البندق : كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو هو الطين المدور المدملق يرمي به الصبيان عن القوس • وكان رماة البندق في العصر العباسي يخرجون الى ضواحي المدن يتسابقون في رميه على الطير ، ويعدون ذلك من قبيل الفتوة • وكان لرماة البندق زي خاص ، يمتاز بسراويل كانوا يلبسونها ، ويسمونها سراويل الفتوة ، وينتسبون الى الناصر برمي البندق • وكان الخليفة يلبس الناس السراويل بنفسه • وحرمت الفتوة على الناس الا من لبس سراويلها منه • ومنع الرمي بالبندق الا لمن ينتسب اليه •

وقد تفنن الناس في رمي البندق بالمزاريق ، والانابيب • وظلت هذه العادة في زمن الظاهر ، والمستنصر ، والمستعصم • وكان اقبال الشرابي هو الذي يشرف الناس بلباس الفتوة نيابة ، ووكالة عن الخليفة بالبدرية •

(٢) العسجد المسبوك • الورقة ١٨٢ • راجع عن هباته الكثيرة الورقة ١٦٩ من كتاب العسجد المسبوك •

المماليك متوجهين الى الشام • وكان سنجر أولا مملوكا لامرأة تعرف بعائشة اليتيمة ربيبة الخليفة الناصر لدين‌الله ، ربته وأدبته • فلما بويع المستنصر بالله ، تقربت به اليه وسألته قبوله فقبله • وحظي عنده • وصار من جملة الخواصّ • وزوّج بجارية • وأعطي أموالا كثيرة • ويظهر أنه اغتر فأستفسد جماعة من المماليك • وتوجه قاصدا بلاد الشام ، فاتفق أن أبا علي بن غنّام أمير عرب الشام قد وصل الى الحديثة لِمُهم له • فلما بلغه أمر سنجر مضى في طلبه ، فوجده قد رفع وراءه سنجقا وهو في صورة رسول فدعاه الى النزول ، وكان بالقرب من بيوته ، فلم يجب • وطال الكلام بينهما ، وأفضى الى المحاربة • وتم القبض عليه ، وعلى أصحابه • وغنموا ما معهم • فاستجار سنجر بزوجة ابن غنّام فأجارته • وقالت لزوجها : إما أن تُطلِقَهُ ، أو تمضي الى الخليفة وتستوهب خيانته • فأخذه ووصل به الى بغداد تحت الاستظهار[1] راكباً على حمار ، وفي رجله سلسلة ، وكذلك أصحابه • فأوقفوا في باب البدرية الى الليل • وباتوا هناك • وجلس إقبال الشرابي من الغد ، وأمر باحضارهم • فلما حضروا قال له : يا سنجر ، أي شيء سوّلت لك نفسك الخسيسة ؟ ولمن خطر لك أن تخدم بعد الخليفة ؟ وقد ربّاك ، وأحسن اليك ، وأدناك من سُدّته • فقابلت ذلك بما أنت أهله • فبكى واعتذر • وقال : الخطأ منا ، والعفو منكم • فقال له : قد عُفي عنك وعن الجماعة • وتُصدق عليكم بأرواحكم • وأمر برفع السلاسل من أرجلهم • ثم قال : ليس الحلم والعفو ببعيد عن أمير المؤمنين • وليس الغدر والخيانة ببعيدة من هذا القبيل • ثم أذن لهم في التوجه الى بيوتهم • وأعيدت عليهم معايشهم[2] •

ويرجع السبب في العفو عنهم الى أن ابن غنّام عندما وصل بهم مخفورين الى بغداد أراد الوزير أن يخلع عليه فقال : لا ألبسها حتى يُعفى عن سنجر ، فان للذمة العربية حرمة لا تخفر • فأجيب سؤاله •

---

(١) تحت الاستظهار أي علناً بقصد التشهير • ويقال : غير مستظهر بسلاح : أي لم يكن معه سلاح •

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٢٨ ـ ١٢٩ •

وعفي عن سنجر • وأحضر ابن غنام الى البدرية ، وخلع عليه • وشرّف بلباس الفتوة من الخليفة[1] •

٨ ـ رعاية الشرابي للعدائين والرياضيين :

ويظهر أن شرف الدين الشرابي كان يهوى السُعاة والعدّائين ويُعنَى بأمرهم • فقد ذكر ابن وهّاس[2] في حوادث سنة ٦٢٥هـ قال : وفيها جرى الكوثر الساعي من واسط الى بغداد في يوم وليلة • ووصل الى باب سوق البصلية قبل غروف الشمس بساعة • ورزق قبولاً عظيماً • واعطي خلعاً ، وأموالاً من الدولة ، والتجار • ومن جملة ما حصل له نيف وعشرون فرسا • ومن القماش بألف وسبعمئة دينار • ومن الذهب خمسة آلاف واربعمئة دينار • ولازم خدمة الشرابي •

وذكر صاحب الحوادث في أخبار سنة ٦٤٣هـ • أن الشرابي كان استاذاً للعدّاء معتوق الموصلي المعروف بالكوثر الذي كان يسابق عدّاء آخر هو علي ابن الاربلي • وكان الخليفة المستعصم بالله ، وأولاده ، واقبال الشرابي يخرجون للتفرج عليهما • فقد جاء في الكتاب المذكور ان معتوقاً الموصلي جرى من داقوقا[3] الى بغداد ساعياً على قدميه في سنة ٦٤٣هـ فوصل كشك الملكية[4] ودخله • وكان الخليفة هناك ، ومعه الشرابي وهو أستاذه ، ثم خرج من الكشك ، وعاد الى الوقف • ثم رجع الى الكشك وقد تخلف من النهار ساعة ونصف الساعة • فقبل الأرض بين يدي الخليفة • فتقدم له بخمسمئة دينار • وأعطاه الشرابي ثلاثمئة

---

(١) الحوادث الجامعة ص١٣٠ • وجاء في الوافي ج١٣ الورقة ١٧٢ : لما اخذت بغداد كان هو في جملة من هرب منها ووصل الى الشام • وكان محترما في الدولة الظاهرية • توفي سنة ٦٦٩هـ •

(٢) العسجد المسبوك • الورقة ١٤٣ • وباب البصلية هو « الباب الشرقي » اليوم •

(٣) داقوقا : هي طاووق احدى المدن العراقية في لواء كركوك اليوم •

(٤) الكشك : كالمنظرة بناء يجلس فوق سطحه للتفرج على سباق الخيل ، أو العدائين ، أو استعراض الجيوش • اما الملكية فيظهر أنها من قرى بغداد بالقرب من هذا الكشك الذي ربما كان قريبا من باب الحلبة أي باب الطلسم بسور بغداد الشرقية •

دينار • وحصل له من أرباب الدولة شيء كثير[1] •

وجاء في العسجد المسبوك وفي كتاب الحوادث الجامعة في حوادث سنة ٦٤٦هـ عن علي ابن الاربلي أنه سعى على قدميه من داقوقا الى بغداد أيضا فوصل بعد العصر من يومه • وسبق معتوقاً الموصلي المعروف بالكوثر بنصف ساعة وسبع دقائق • ودار حول الكشك شوطا ، الى حين وصوله • وكان ممن خرج الى التفرج عليه: الخليفة المستعصم وأولاده • وجلسوا في الكشك الى حين وصوله • وكان « علي » المذكور مختصا بخدمة الأمير مبارك ابي المناقب ولد الخليفة • فأمر له بفرس من مراكبه الخاصة ، وخلعة ذهب • وأنعم عليه أيضا بخمسمئة دينار غير ما حصل عليه من الزعماء والمماليك • ودار من الغد في البلد بالطبول ، والبوقات على الأكابر ، والأعيان ، وأرباب المناصب • فحصل له شيء كثير من الخلع ، والخيل ، والثياب ، والذهب ، والفضة وغير ذلك[2] •

وذكر ابن وهّاس في أخبار سنة ٦٤١هـ أن انسانا ببغداد لعب على حبلين يرتفعان عن الأرض نحو أربعين ذراعا فكان يمشي عليهما مشياً سريعا ماضيا وراجعا الى وراء ، وفي رجليه قباقب ، وعلى رأسه طفل صغير قيل : انه ولده • ثم أخذ سيفا مشهورا وتركه معرضا على الحبل • وقام على أمّ رأسه ، ورفع رجليه • وجعل يلبس سرواله ويخلعه مقلوبا ـ • ثم أخذ جرة مملوءة ماء وجعلها على رأسه • ومشى بها مهرولا من أول الحبل الى آخره ، وفي رجليه القباقيب ، وعلى رأسه الجرة • ثم رماها وتعلق بالحبلين بابهمام رجليه • ولعب لعبا يذهل العقول • فلما فرغ من لعبه ونزل الى البدرية خُلع عليه وأُعطي فرسا ومئتي دينار • ثم مضى الى بيوت الأمراء فحصل ما يزيد على ثلاثة آلاف دينار[3] •

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٩١ : وفي العسجد المسبوك : معيوق الموصلي بدلا من معتوق ، والكوير بدلا من الكوثر • ولاشك في ان تصحيفا حصل في المصدر الاخير راجع الورقة ١٧٥ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٣٤ والعسجد المسبوك : الورقة ١٧٥ •

(٣) العسجد المسبوك ص ١٦٣ • والذراع تساوي نصف المتر •

٩ ـ عناية الشرابي بحمام الزاجل :

يظهر أن الشرابي كان يعْنى بتدريب حمام الزاجل لاستخدامه في الشؤون العسكرية كنقل الرسائل في أثناء حروبه مع المغول ، كما ذكرنا ذلك في حياته العسكرية . ونضيف هنا أن مؤلف الحوادث الجامعة ذكر في أخبار سنة ٦٤٤هـ أن الطيور الحمام التي للشرابي سبقت طيور النقيب الظاهر قطب الدين الأقساسي[١] . والى ذلك يشير كاتب الانشاء ، العدل ، موفق الدين القاسم بن ابي الحديد المدائني في أبيات منها :ـ

أرسل الطاهر النقيب طيورا ... لسباق فلم يَفُزْ بمراد
وطيور المولى الشرابي جاءت ... وطيور النقيب في كل وادي
ما حداها على التأخر الا ... طلب الخُمس من طباق الزاد

ومن قصيدة يمدح بها الخليفة المستعصم معرِّضا بالنقيب المذكور أيضا :

ما كان يغلط الطائر لك مرة ... فيجيء عاشرَها لدى إرسالها
وسواك لو حمل الدجاج مسابقا ... سبقتك طائرة على أرسالها

١٠ ـ ثروة الشرابي ووكلاؤه :

يظهر أن شرف الدين الشرابي كانت له ثروة طائلة اكتسبها من علاقته الشديدة بالمستنصر . اذ لم يمض غير أربع سنوات على تقريب المستنصر له ، وجعله شرابياً عنده ، حتى كانت له أملاك واسعة يديرها وكلاء خاصون . وقد زادت هذه الثروة جدا في خلافة المستعصم . ومما يدل على هذا الثراء ، وتلك الأموال :

١ ـ انه كان يمتلك بستانا بالمُحَوَّل جاء ذكره في كتاب الحوادث الجامعة عند زيارة المستعصم له[٢] ، ويعرف بـ « السميكة » . كما كانت له بالحلة دار وببغداد ديوان .

---

(١) نسبة الى اقساس وهي قرية من قرى الكوفة ينسب اليها جماعة من العلويين .

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٧١ وقد وردت فيه « السمكة » ولعل صحيحها « السميكة » كما وردت في تاريخ العز الاربلي « راجع الموسيقى العراقية ص ٣٠ » . والمحوّل : بلدة حسنة نزهة ، كثيرة البساتين ، والفواكه ، والاسواق ، والمياه . بينها وبين بغداد فرسخ أي نحو خمسة كيلومترات . راجع « ياقوت ج ٥ ص ٦٦ » .

٢ ـ هباته ، وخلعه الكثيرة التي وردت مفصلة في كتاب العسجد المسبوك ، وفي كتاب الحوادث الجامعة أيضا ، في أماكن عديدة منهما ، ذكرناها في هذا الكتاب بحسب المناسبات التي خلعت فيها • وتجد في الفصل السادس تفصيلات مهمة عنها •

٣ ـ ما أنفقه من نفقات كبيرة جدا على مدارسه الثلاث ببغداد ، وواسط ، ومكة •

٤ ـ ما أنفقه على بناء جامع بواسط ، ورباط بمكة •

٥ ـ ما أنفقه على البِرَك ، وعَيْن عرفة بمكة لتيسير الماء للحاج •

٦ ـ ما أوقفه من وقوف حسنة على المؤسسات والمنشآت التي عملها ببغداد ، وواسط ، ومكة المكرمة •

وكان لابد لادارة هذه الأموال من وكلاء يقومون مقامه ، للحفاظ عليها ، وتنميتها والصرف على الوجوه التي بقررها • وقد عثرنا على ستة من هؤلاء الوكلاء نذكرهم بحسب سني وفاتهم على الوجه الآتي :ـ

الأول : سليمان الأزجي المتوفى سنة ٦٢٩هـ :ـ

وقد ترجم له ابن الفوطي ، لكنه لم يصرِّح بأنه تولى ادارة أعمال الشرابي ، وانما ذكر أنه انضم اليه ، فقال كان : عميدالدين أبو الربيع سليمان الأزجي الوكيل « يعاني خدمة البساتين والعمل فيها • وقد تقدم بذلك عند الخليفة الناصر ، فقدمه وألحقه بالمتصرفين • وولاه نظارة الخالص • وجعل اليه أمر الصحارى والبساتين • ولما ولي الظاهر قربه وادناه • فلما كانت خلافة المستنصر انضم الى شرف الدين اقبال الشرابي ، وصار متقدم السبيل الى مكة الى أن توفي فيها سنة ٦٢٩هـ[1] •

الثاني : ابن سكينة المتوفى سنة ٦٣٩هـ :ـ

وقد رتب وكيلا للشرابي سنة ست وعشرين وستمئة • وبقي على وكالته نحو ١٤ سنة أي حتى وفاته سنة تسع وثلاثين وستمئة ، في سابع عشر شعبان • ودفن تحت قدمي والده بوصية منه • ورُثي بأشعار كثيرة •

---

(١) التلخيص ج ٤ : ٩١٨ •

وقد ترجم لهذا الوكيل كل من ابن الفُوَطي[1] في تلخيصه ، وابن وهّاس الخزرجي[2] في عسجده ، والمنذري في التكملة : فذكروا انه : عون‌الدين أبو محمد عبدالرحيم بن ضياءالدين أبي أحمد عبدالوهاب بن علي بن علي بن عبدالله المعروف بابن سُكَينة البغدادي الصوفي • وكان شابا جميلا من بيت معروف بالتصوف ، والرواية ، والعبادة ، والأفضال ، مشهور بالرياسة والتقدم والتصرف[3] • وقد وصف بأنه كان حسن المعتقد ، كثير الخوف من الله تعالى ، سريع الدمعة ، رقيق القلب • وكان باطنه خيرا من ظاهره ، لله عز وجل وللناس ، قليل الوقيعة فيهم ، كثير الصدقة ، متحرياً في اخراج ما يجب عليه • وكان كثير الحرص على الدنيا ، محبا لها ، مؤثرا لجمع المال ، وتكثيره • ولم يحظ منه بطايل •

وكان والده شيخ الشيوخ في وقته • قال ابن الفُوَطي : ذكره شيخنا تاج‌الدين أبو طالب في تاريخه وقال : رتُب شيخا برباط العميد فجمّله ، وزينه ، وشحنه بالصوفية • قال : وفي جُمادَى الأولى سنة ست وعشرين وستمئة رتب عون‌الدين وكيلاً لشرف‌الدين إقبال الشرابي ، وحَظِي بالقرب منه • وكان سهل الأخلاق ، حسن العشرة •

وكان مولد عون‌الدين في جُمادَى الآخرة سنة ٥٩٦هـ • ووفاته في ١٧ شعبان سنة ٦٣٩هـ • عن ثلاثة وأربعين سنة • ودفن تحت قدمي والده بوصية منه • ورثاه الشعراء بأشعار كثيرة •

ويظهر انه كان للشرابي وكلاء آخرون يشير اليهم مؤلف كتاب الحوادث[4] حين يذكر أن فخرالدين ابن الدوامي المتوفى سنة ٦٥٢هـ • كتب اليه قصيدة يسأله أن يُمكّنه من ابتياع دار كانت مجاورة لداره ، وقد استصلحها وكلاؤه • منها :

ياملیك‌الدنيا وياواحد الدهر ويا من نداه كالغيث جاري

---

(١) التلخيص ج ٤ ص ٩٨٠ ـ ٩٨١ الترجمة ١٤٥٠ •
(٢) العسجد المسبوك الورقة ١٥٩ في وفيات سنة ٦٣٩هـ •
(٣) التصرف : ادارة شؤون البلاد •
(٤) ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ •

وتصدق بها وعش في نعيم آمناً من شوائب الاكدار

الثالث : عمر الدورقي المتوفى سنة ٦٤٨هـ :ـ

وقد سماه ابن الفوطي : وزير الشرابي وهو الذي بنى له المدرسة الشرابية بواسط[١] • وكان يدير له اموره وأمور جنده • وجدد جامعا بواسط كان داثراً • وانشأ رباطاً الى جانبه • وانشأ قريباً من المدرسة الشرابية رباطاً آخر على شاطىء دجلة • وكانت وفاته سنة ٦٤٨هـ •

الرابع : الشهاب ريحان المتوفى سنة ٦٥١هـ :ـ

وهو الذي بنى له المدرسة الشرابية بمكة سنة ٦٤١هـ[٢] •

الخامس : ابن عبدوس المتوفى سنة ٦٥٣هـ :ـ

وهو عزالدين حسين بن عبدوس الذي ذكره ابن وهّاس الخزرجي في العسجد المسبوك في حوادث سنة ٦٤٢هـ وذلك عندما جُهزت الاقامات وهي المؤن لتلقي أم الخليفة المستعصم السيدة هاجر عند عَوْدها من الحج سنة ٦٤٢هـ[٣] وورد ذكره في الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٤٢هـ باسم عزالدين حسن بن عبدوس حين أرسله الشرابي الى واقصة لتلقي والدة الخليفة عند عَوْدها من مكة[٤] •

وقد ترجم له ابن الفوَطي في التلخيص[٥] فقال :

عزالدين أبو عبدالله الحسين بن عبدوس بن محمد البغدادي ، وكيل الشرابي ، ناظر الحلة السيفية • ذكره شيخنا تاج‌الدين في تاريخه وقال : كان من أعيان المتصرفين جلادة ، وخبرة أعمال ، ومعرفة بالعمال • خدم في صباه في مساحة الغلات وقسمتها • وتصرف في أعمال السواد • واستنابه تاج‌الدين علي ابن الانباري فلم يزل على نيابته الى أن توفي في الايام المستنصرية • ثم رتب مخرج الأموال بالديوان • فكان على ذلك الى ان عُزل بان زطينا[٦] الكاتب • ثم رتب في أعمال الحلة فلم يزل بها • وعُين عليه في أعمال شرف‌الدين اِقبال الشرابي في جُمادَى الاولى سنة

---

(١) التلخيص ج ٤ ق ٣ ص ٢٦٧ • وكتابنا « المدارس الشرابية » ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ •

(٢) اتحاف الورى لعمر بن فهد في حوادث سنة ٦٤١هـ •

(٣) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٤ •

(٤) الحوادث الجامعة ص ١٩١ ـ ١٩٢ •

(٥) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ص ١٢٣ •

(٦) يرجع نسب بني زطينا الى النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة•

ست وعشرين وستمئة • ثم جعله وكيلاً في ديوانه • وتوفي بالحلة في مستهل شعبان سنة ثلاث وخمسين وستمئة • ودفن بمشهد علي ـ عليه السلام ـ » •

السادس : عزالدين العكرشي المتوفى سنة ٦٥٤هـ :ـ

وقد ذكره ابن الفوطي على الصورة الآتية :

عزالدين أبو محمد حمزة بن ••• محاسن العكرشي الناظر بالحلة •

ثم قال :

« ذكره لي شيخنا جمال‌الدين أبو الفضل أحمد بن المهنا الحسني وقال : « كان قد ارتفع قدره ، وتولى اقطاع شرف‌الدين اقبال الشرابي • ثم أخذ واعتقل بدار الشرابي شرقي الحلة سنة أربع وخمسين وستمئة[1] • وكان بين عمي تقي‌الدين علي بن مهنا وبينه صداقة • دخلت عليه وكان قوي النفس فقال لي : « ان اجتمعت بالسيد تاج‌الدين جعفر بن معيّة فقل له عني : هجوتني منذ عشرين سنة بأبيات علق منها بخاطري :

تركت الزراعـــة من أجلـكم ومالي من شركم من مقيـل
فمن لي بيوم أغـــر الصباح أبل بـه من اذاكم غليلي ؟

نعم ليبل غليله ، الفاعل الصانع • فحضرت عند تاج‌الدين ، وعرفته ما قال • فقال : ما أرضى له ••• فكان كما ظن • وتوفي في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وستمئة »[2] •

١١ ـ ديوان الشرابي ودوره ببغداد والحلة ومكة :

يظهر ان ديوان الشرابي كان قريبا من باب دار الخلافة المعروف بالبدرية[3] أي انه كان على مقربة من المدرسة المرجانية التي هي اليوم جامع مرجان •

---

(١) يظهر ان اعتقاله كان بعد وفاة الشرابي سنة ٦٥٣هـ مباشرة • ويظهر ان للسيد تاج‌الدين يداً في اعتقاله •

(٢) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ١ ص ١٤٥ • وبنو معية من البيوتات العلوية في الحلة •

(٣) الحوادث‌الجامعة ص٣٦٦ وص٥٠ وينسب‌هذا الباب‌الى‌الامير بدر مملوك الخليفة المعتضد • وقد ذكر ابن الجوزي (ج ٥ ص ١٤٣) انه هو الذي زاد في جامع المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية • وكان الى جانب هذا الباب من خارج سور دار الخلافة دار بدر وسويقة بدر •

ويقترن اسم الشرابي بالبدرية مراراً عديدة حيث كانت تَفِد عليه الوفود ، والأعيان ، والأمراء ، ومَنْ يشرّفهم بلباس الفُتُوة ويُفتّيهم نيابة عن الخليفة .

وقد جاء في كتاب الحوادث الجامعة ان علاء الدين الجُوَيني صاحب الديوان ببغداد خرج في ٢٥ جُمادى الآخرة سنة ٦٦٨هـ لصلاة الجمعة في مسجد عند مشرعة الأبَريين فطعنه رجل بسكين عدة طعنات أدخل على أثرها دار بهاء الدين بن الفخر عيسى الاربلي المنشىء . وكان يومئذ يسكن في الدار المعروفة بديوان الشرابي .

ويظهر مما ذكره ابن الفوطي وما ورد في كتاب العسجد المسبوك ان شرف الدين الشرابي كان له ديوان في الحلة . وقد دخل المستعصم هذا الديوان سنة ٦٤١هـ ونثر عليه الشرابي فيه ذهبا كثيرا[١] . وذكر ابن بطوطة عند ادائه فريضة الحج في سنة ٧٢٧هـ داراً للشرابي حول المسجد الحرام بمكة[٢] ولعله يريد بذلك رباط الشرابي المشهور .

١٢ ـ وفاته :

ويظهر مما جاء في الكتاب المسمى بـ « الحوادث الجامعة » ان شرف الدين اِقبال الشرابي عندما كان في خدمة المستعصم بالحلة سنة ٦٥٣هـ مرض بها ، فحُمل الى بغداد في شُبّارة ، وهو مُثْقَل . فوصل في سابع عشري شوال من تلك السنة . وتوفي في ثامن عشريه . وصُلّي عليه في جامع القصر[٣] . ودفن في تربة أم الخليفة المستعصم[٤] بباب القبة ، على يمين الداخل . وجلس الوزير ، وأرباب المناصب في العزاء بالمدرسة المستنصرية .

---

(١) التلخيص ٤ : ٩١٨ والعسجد المسبوك . الورقة ١٦٣ .

(٢) الرحلة ص ١٤٠ .

(٣) جامع القصر : وهو جامع الخلفاء ببغداد . ويطلق عليه جامع القصر الشريف . وكان انشاؤه سنة ٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ بعد رجوع الخلفاء من سامراء . ومن بقاياه اليوم منارة سوق الغزل . واما المسجد الجامع فقد استولى عليه الناس . وما بقي منه ادخل في شارع الجمهورية . وتقوم مديرية الاوقاف العامة بتشييده مجدداً .

(٤) تربة أم الخليفة المستعصم : اتخذتها السيدة « هاجر » لنفسها في رباطها المستجد الذي كان بشارع ابن رزق الله ، في الجانب الغربي من بغداد ، على شاطىء نهر عيسى ، قرب مقبرة الشيخ معروف الكرخي .

وذكر ابن وهّاس[1] أن المستعصم توجه في شوال سنة ٦٥٣هـ هو وأولاده ، وخطاياه الى زيارة المشاهد المقدسة • فمرض شرف الدين اِقبال الشرابي مرضه الذي توفي فيه • وثقل فعاد الخليفة من الحلة بسببه •

وقال ابن وهّاس أيضا : مات الاستاذ شرف الدين اِقبال الشرابي المستنصري المستعصمي • وكان نجيبا ، سعيدا ، كريما ، حميدا ، جوادا • ذا عطاء وافر ، وبر غامر ، وبشر ظاهر ، مع سطوة عظيمة ، وبسطة شديدة • وكان بطيء الغضب اذا رضي ، وبطيء الرضا اذا غضب • وله آثار حسنة • توفي في يوم الاثنين السابع والعشرين من شوال سنة ٦٥٣هـ •

وقد ذكر جميع المؤرخين الذي ترجموا لاقبال الشرابي انه مرض بالحلة في شوال من سنة ٦٥٣هـ وحمل من الحلة الى نهر دجلة حيث انزل في شُبّارة وأصعد الى بغداد وتوفي حتف أنفه اِلا ابن تغري بردي والحافظ الذهبي فقد وهما في تاريخ وفاته حين عدّاه في جملة مَنْ قتل في واقعة بغداد سنة ٦٥٦هـ• فقد ذكر الاول في كتابه «النجوم الزاهرة» مَنْ قتل في تلك الواقعة ثم قال « ••• والخادم اقبال الشرابي صاحب الرباط بحرم مكة ، والاستاذ محيي الدين ابن الجوزي وولداه ••• واحترقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي كانت في الدنيا ••• وكانت كسرة الخليفة يوم عاشوراء من سنة ست وخمسين وستمئة ••• »[2] • ومثل ذلك قال الذهبي في كتابه « تاريخ الاسلام » •

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٨٧ •
(٢) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥١ •

الفصل الرابع

نفوذ الشرابي في الدولة العباسية

يتجلى نفوذ اِقبال الشرابي بوضوح تام في بيعة المستعصم بالخلافة بعد وفاة المستنصر سنة ٦٤٠هـ وما بذله من جهود في اقصاء عمه الملقب بالخفاجي عنها كما أسلفنا • ولذلك زادت منزلته عند المستعصم ، وقرب من قلبه[١] منذ أن افضت الخلافة اليه •

ومما يدل على هذا النفوذ ان الشرابي كان يلازم الخليفة المستعصم ، ويرافقه في تجواله ببغداد أو خارجها • فقد ذكرنا مرافقته للخليفة عندما خرجت والدة المستعصم الى الحج • وذكرنا انه كان في خدمته في الحلة سنة ٦٥٣هـ عندما مرض المرض الذي توفي فيه • ونضيف الى ما تقدم انه في يوم الخميس خامس عشر شهر رجب سنة ٦٤٠هـ ركب المستعصم بالله في شُبّارة ومعه شرف‌الدين اِقبال الشرابي ، وعزالدين مرشد الهندي المستعصمي ، وأُصعِد في دجلة الى مشرعة الكرخ ، وعاد منحدرا الى باب الأزج • ثم عاد الى داره • ثم ركب يوم السبت سابع عشر الشهر على الخيل ، وتقدم الى جميع من كان يركب مع والده بالركوب معه ، وقصد دار الحريم • ودخل الرباط • ثم تكرر ركوبه فلم يَدَعْ صالحاً ، ولا ولياً الا زاره ، وقصد مشهده • ولا رباطاً منسوباً اليهم الا تردد اليه

وقصد المستنصرية يوم الجمعة سابع شعبان ومعه استاذه الشيخ شمس‌الدين علي ابن النَّيّار ، واعتبر خزانة الكتب التي بها ، وأنكر عدم ترتيبها ، ووكل بالنواب يومين ثم افرج عنهم • وفي ذي‌القعدة ركب الى

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٠٩ •

المُحَوّل ، ودخل بستاناً للشرابي هناك[1] .

ويظهر أن نفوذ الشرابي في الدولة العباسية كان كبيرا مكنه من أن يسيطر عليها ، ويدير شؤونها بجدارة في خلافة المستنصر وابنه المستعصم . ولذلك كان حال المُلك في عهده منتظما بصائب رأيه . فلما توفي سنة ٦٥٣هـ اختلت الأحوال بعده[2] .

ومما يدل على نفوذه أيضا حادثتان ذكرهما مؤلف الكتاب المظنون انه « الحوادث الجامعة » فقد ذكر أن جماعة من المماليك الظاهرية ، والمستنصرية حضروا عند شرف‌الدين اقبال الشرابي في شعبان من السنة ٦٤٠هـ للسلام عليه على عادتهم . وطلبوا الزيادة في معاشهم . وبالغوا في القول ، وألحوا في الطلب . فجرّد عليهم الشرابي وقال يخاطبهم : ما نزيدكم بمجرد قولكم ، بل نزيد منكم مَنْ نزيد اذا أظهر خدمة يستحق بها »[3] فنفروا وخرجوا من فورهم الى ظاهر السور . وتحالفوا على الاتفاق ، والتعاضد . فوقع التعيين[4] على قبض جماعة من اشرارهم . فقبض منهم اثنان ، وامتنع الباقون . وركبوا جميعا ، وقصدوا « باب البدرية » ومنعوا الناس من العبور ، فخرج اليهم مقدم البدرية .. فلم يلتفتوا اليه فنفذ اليهم سنجر الياغر[5] فسألهم عن سبب ذلك فقالوا : « نريد ان يخرج أصحابنا ، وتزاد معايشنا » . فانهى سنجر ذلك الى اقبال الشرابي ، فأعاد عليهم الجواب : ان المحبوسين ما نخرجهم ، وهم مماليكنا نعمل بهم ما نريد ، ومعايشكم ما نزيدها فمن رضي بذلك يقعد ، ومن لم يرض وأراد الخروج من البلد ، فنحن لا نمنعه . وطال الخطاب في ذلك الى آخر النهار ، ثم مضوا وخرجوا الى ظاهر البلد ، فأقاموا هناك

---

(١) الحوادث الجامعة ص ١٧٠ راجع ص ٥٨ من هذا الكتاب .
(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٠٩ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ١٦٨ .
(٤) عيّن عليه : رتب ونصب .
(٥) سنجر الياغر وهو المستنصري . ويرد « الباغر » راجع الوافي ٨ الورقة ١٩٢ وكان ممن هرب الى الشام لما أخذت بغداد سنة ٦٥٦هـ : راجع عنه ص ٥٤ ـ ٥٦ من هذا الكتاب .

مظهرين الرحيل • فبقوا على ذلك أياما • فاجتمع بهم الشيخ السبتي[1] الزاهد وعرّفهم ما في ذلك من الآثم ومخالفة الشرع ، فاعتذروا وسألوه الشفاعة لهم ، وأن يُحضِر لهم خاتم الأمان ، ليدخلوا البلد • فحضر عند اقبال الشرابي ، وعرّفه ذلك ، وسأله اجابة سؤالهم • فأخرج لهم خاتم الأمان[2] مع الأمير شمس‌الدين قيران الظاهري ، والشيخ السبتي ، فدخلوا والشيخ راكب حماره بين أيديهم ، وحضروا عند الشرابي معتذرين ، فقبل عذرهم بعد أن مكثوا سبعة أيام خارج الأسوار[3] •

والحادثة الثانية ذكرها في حوادث سنة ٦٤٣هـ • وملخصها أن فخرالدين أبا سعد المبارك ابن المُخَرِّمي ، صاحب الديوان ، نفذ اليه مَنْ شافهه بالعزل في ١٣ صفر • واستظهر على داره • وَوُكل بدار أخيه جمال‌الدين علي ابن المخرمي الذي قُبض عليه أيضا • كما قبض على اخيهما شمس‌الدين عبدالرحمن وكان مريضاً ، وعلى حاجبي صاحب الديوان وهما : الفخر بن دلال ، والشمس ابن الصياد ، وعلى الاسباسلار[4] ابن الشمحل • ثم سُلِّم جمال‌الدين علي الى مشرف المخزن •

وفي خامس عشر صفر من السنة نفسها اخرج فخرالدين صاحب الديوان من داره في المَطْبَق[5] ومعه ولده كمال‌الدين محمد • وحُمِلا

---

(١) الشيخ السبتي : هو الشيخ محمد الزاهد المعروف بالسبتي • وفي العسجد المسبوك الورقة ١٧٣ « البستي » وكان اميّاً سليم الصدر ملازما للصوم والصلاة ، يساعد من يسأله مالا أو جاها توفي سنة ٦٤٥هـ•

(٢) الخاتم كانت توقع به المواثيق والعهود ومن ثم أصبح دليلا على الامان والاطمئنان •

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٦٨ – ١٧٠ •

(٤) الاسباسلار : الطباخ الكبير « راجع صبح الاعشى ج ٤ ص ١٣ » • وهو أيضا الاسفهسلار أي مقدم العسكر • وفي صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٨٣ هو زمام كل زمام ، واليه أمر الاجناد ، والتحدث فيهم • وفي خدمته وخدمة صاحب الباب يقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم •

(٥) راجع الكامل ج ١٢ ص ١٨٩ والمطبق : طريق تحت الارض كان بين قصور الخليفة التي على دجلة وجامع القصر الذي بقيت منه اليوم المنارة المعروفة بمنارة سوق الغزل التي اعيد بناؤها سنة ٦٧٨هـ •

الى دار عميدالدين بن عباس مُشْرِف المخزن أيضا • ووكل بهما عنده في حجرة قريبة من داره بدرب المطبخ • ثم طُلب فخرالدين أن يكتب خطه بمبلغ من العَيْن ذُكر له مراسلة فامتنع ، وأبى أن يكتب خطه الا بأن يذكر جميع ما يملكه هو وأخواه وأهله ، ولا يخفي من ذلك شيئاً • وأقسم على ذلك بالايمان المعتبرة شرعاً وعُرفاً • فاقتُنع منه بذلك • ونُفذ الى داره مَنْ اعتبرها[1] فلم يجد بها طائلا • ووجد من الذهب مقدار مئة دينار • وذكر أن بعضها وديعة ليتيم عنده • ثم وقع الشروع في بيع ما كان في دورهم • ونُقل فخرالدين ، وولده كمال‌الدين الى دار بالقصر من دار الخلافة • وجُعل معه مَنْ يحفظه من جانب عميدالدين بن عباس • ولم يلق أحد منهم كلمة سيئة • ولا نِيْلَ بمكروه ، كما جرت العادة فيمَنْ يقبض عليه ، ويراد استئصاله[2] • وأفرج عن فخرالدين ، وأخوته ، وأصحابه ، بشفاعة اقبال الشرابي في ثامن جُمادَى الآخرة من سنة ٦٤٣هـ بعد أن أُلقي القبض عليهم في اليوم الثالث عشر من صفر من السنة المذكورة[3] •

ومما يدل على نفوذ شرف‌الدين الشرابي وسطوته ما ذكره ابن وهّاس في كتابه العسجد المسبوك[4] قال : وفي سنة ٦٣٨هـ ظهر فساد عرب خفاجة ، وامتدت ايديهم بالنهب في سواد الحلة • فخرج اليهم الأمير بكتمر في عدة من المماليك والاجناد • وجدّوا في طلبهم فادركوهم • فقتلوا منهم جماعة وهرب الباقون • وتركوا ظعنهم ، ونساءهم ، وأولادهم • فأطلقوا النساء والاطفال • وغنموا الغنم والجمال • وكانت عدة الجمال الفاً وستمئة جمل ، وعدة الغنم نحو سبعة آلاف • فانعم الشرابي على بكتمر بألفي دينار • وأعطاه من الغنيمة مئة جمل ، والف رأس من الغنم • وبيع الباقي •

---

(١) اعتبر : فتش ، وتحرّى •
(٢) الاستئصال : المصادرة والابادة •
(٣) الحوادث الجامعة ص ١٩٦ ـ ١٩٨ •
(٤) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٨ •

وفرّق على الاجناد والمماليك الذين غنموه .

ومما يدل على نفوذه وسطوته أيضا ما ذكره أبو الحسن الخزرجي في العسجد المسبوك[1] كذلك حين ظهر في جُمادَى الآخرة « من سنة ٦٤٨هـ » اختلال في المخزن ، وقلّ حاصله حتى صارت مهـام الخليفة تتعذر عليه في أكثر الاوقات لعدم الحاصل ، وذلك بسبب مزارعه ، ونفوذ أرباب الجاهات . وقد ارتفع حساب الديوان بجملة أموال بقيت في ذمة المزارعين من ذوي الجاهات وغيرهم . واعترف صاحب الديوان بالعجز عن تحصيلها فبرز الأمر الى اقبال الشرابي حينئذ : باحضار الكاتب . فلما حضر سأله عن سبب تأخير استيفاء ما تضمنته الجريدة[2] المخرجة من الاموال البواقي فعرّض بالوزير وأخيه ، وولده ، وشيخ الشيوخ ، وجماعة من الخدام ، والرؤساء ، وأرباب المناصب ، فأمر الشرابي عند ذاك باستخراجها . فاستخرجت في أسرع وقت . ومنع أرباب الجاهات بعد ذلك من الزروع منعا كليا . فعادت الحال كما كانت أولا . وتوفرت الاموال في المخزن . وكثرت الحواصل بسبب الاجراآت الحازمة التي اتخذها اقبال الشرابي .

---

(١) العسجد المسبوك الورقة ١٧٧ .

(٢) يطلق عليها اليوم « القوائم » .

الفصل الخامس

حياة الشرابي العسكرية

جاء في الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة ، أن المستنصر بالله جعل اقبالا الشرابي سَرْخيل العسكر[1] . وقال عنه عند وفاة المستنصر : وكان الامر في عساكره ، وأجناده ، وقواده الى شرف الدين اقبال الشرابي الى آخر أيامه[2] .

وقد استطاع اقبال الشرابي في خلافة المستنصر ، والمستعصم ، أن يقوم بأعمال عسكرية مهمة خدم بها الدولة العباسية يمكننا أن نشير اليها فيما يأتي :ـ

١ ـ فتح اربل سنة ٦٣٠هـ :

لقد ذكر ابن الطِّقْطَقَي[3] أن الخليفة المستنصر بالله أرسل الى اِربل سنة ٦٣٠هـ اقبالا الشرابي ، وصحبته عارض الجيوش وذلك عند وفاة صاحبها مظفر الدين بن زين الدين علي كوجك .

ويفصل لنا مؤلف الكتاب المظنون أنه الحوادث الجامعة وابن وهّاس فتح اِربل تفصيلا وافيا فقد ذكرا[4] في حوادث سنة ٦٣٠هـ : ورود الخبر الى بغداد بوفاة مظفر الدين أبي سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوجك صاحب اِربل . فتقدم[5] الخليفة بتعيين جماعة من الامراء للتوجه الى

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٠٩ أي قائد الفرسان . وسر بالفارسية معناها : رأس .

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٥٧ .

(٣) الفخري ص ٢٩٣ .

(٤) الحوادث الجامعة ص ٤٤ ـ ٤٨ . العسجد المسبوك الورقة ١٤٧ـ١٤٨ وفي العسجد : انهم توجهوا مصعدين في اليوم الخامس والعشرين منـــه .

(٥) تقدم بمعنى أمر . والتقدم : الامر .

اِربل • وتقدم الى ظهيرالدين أبي علي الحسن بن عبدالله عارض الجيش بالتوجه أيضاً • فتوجهوا مُصْعِدين في الخامس عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة •

ثم يذكران أن شرف‌الدين أبا الفضائل اقبال الشرابي توجه بالعسكر الى اِربل في ثالث شوال ٦٣٠هـ وكان مقدم العسكر الأمير جمال‌الدين قشتمر[١] الناصري فوصلوها بعد عشرة أيام أي في ثالث عشر شوال • وكان في قلعة اِربل خادمان هما : خالص وبرتقش[٢] يظهر أن أمر اِربل كان في يديهما ، وقد حاولا أن تكون لهما السيطرة على من يستولى عليها بعد وفاة زعيمها ، ولذلك لم يكتفيا بمفاوضة جهة واحدة ، بل كتبا الى الخليفة المستنصر ، والى عمادالدين زنكي صهر مظفرالدين • وكتبا الى بني أيوب ، وذلك عندما ثقل مظفرالدين في المرض • وكانا يقولان في كتبهم : مَنْ سبق الينا كانت مِنَّتُنا عليه • وكتبا الى الملك الصالح أيوب ابن الكامل أبي المعالي محمد يعلمانه بموته ، ويحثانه على المجيء •

ويظهر أن جيوش المستنصر كانت أسرع من غيرها • فلما شاهداها سقط في أيديهما • وعلما أنه قد انتهى الى الخليفة ما فعلا فامتنعا من فتح البلد • فلما رأي اقبال الشرابي أنهم أغلقوا أبواب المدينة دُونه عَمِد الى الحيلة والخديعة • فأستدعى الامير جمال‌الدين قشتمر وقال له : ما لهذا الامر سؤال • واذا فعلتَ شيئاً لا يسع غيرك الا موافقتك • فركب في الحال من غير استراحة • ودار ليله أجمع ، حول البلد ، وهم على السور بالأضواء والطبول • ثم قسم البلد على الامراء • وضرب هو خيمة مقابل أعظم الابواب ، حيث كان أكثر المقاتلة هناك • ونصب البيت الخشب مقابل الباب بالقرب منه ، بحيث يسمع كلامهم ، ويسمعون كلامه ••• ولم يزل نهاره كله يرقب ما يعملون ، ويشاهد ما يصنعون • وفي الليل يدور على العساكر • ويحرض على الحراسة والحفظ • والشرابي يراسل الخادمين

---

(١) في العسجد المسبوك : قشتم وفي الحوادث الجامعة : قشتمر •
(٢) في الحوادث الجامعة : يرنقش ؟

المذكورين ، ويخوّفهما عاقبة العصيان ، فسألا أن يؤخّرا يومين فأجيبا • وكان غرضهما أن يصل الملك الصالح أيوب المقدم ذكره • فلما انقضى الأمد نفذ جمال‌الدين قشتمر الى أحد زعمائهم وقال له : أخلفتم الوعد • وخوّفهم ، وحذّرهم • فرد عليه جواباً غير مرض • ثم رمى وراء رسوله بالنشاب فوقع قريبا من الاطناب[1] • فطلب الامير قشتمر من جماعة من مماليكه أن يقربوا منهم ، وتحرشوا بهم ، فأخذوا في سبهم ، ورموا بالنشاب الى جهتهم • فما زال الامر يزداد حتى وقع الزحف على البلد وقت العصر • واشتد الرمي من فوق السور بالنار ، وأنواع السلاح • وكثر في الفريقين القتل والجراح • وسار الامير قشتمر حتى وقف على الخندق ، فاشتد القتال حينئذ • وقوي جأش المقاتلين بوجوده • فركب الشرابي في لأمة[2] حربه • ووقف على نشز فأُخبر قشتمر بركوبه ، فقصده ، ووقف الى جانبه • وفي ساعة اجتماعهما أخبرا بالنصر والفتح ، وتسليم القلعة • واستولى الجيش على المدينة عَنْوة • وكتب الشرابي على جناح طائر من حمام الزاجل[3] الى الخليفة المستنصر ببغداد بصورة الحال ، ففرح أهل بغداد ، واستبشروا ، وضُربت الطبول على باب النُوْبي • وأفرج عن جميع المعتقلين في الحبوس • وحضر الشعراء الى الديوان ، وأنشدوا القصائد ، يهنئون بهذا الفتح الذي تم في اليوم السابع عشر من شوال سنة ٦٣٠هـ •

ويظهر أن الشرابي بقي بعد الفتح في اربل ، ينظم شؤونها ، الى أن وصل اليها أميرها الجديد وهو شمس‌الدين باتكين أمير البصرة • وكان الخليفة المستنصر بالله قد تقدم باحضاره ، فوصل الى بغداد في الرابع من

---

(١) الاطناب والطنب : الحبال تربط بها الخيام وتثبت في الارض •
(٢) اللأمة : الدرع •
(٣) حمام الزاجل : ويسمى الحمام الهوادي أو حمام الرسائل • ويستعمل لنقل الاخبار التي تكتب بالبطاقات ولذلك قيل له « حمام البطاقة » أيضا لانها كانت تعلق برجله : راجع الكامل ١١ : ٢٤٦ •

ذي القعدة سنة ٦٣٠هـ وشافهه نصيرالدين بن الناقد[١] نائب الوزارة بولاية اربل وطلب اليه أن يتوجه اليها على الفور فوصلها في تاسع عشر ذي القعدة سنة ٦٣٠هـ • وحضر الأمير باتكين عند شرف‌الدين اقبال الشرابي في المخيم بظاهر اربل ، فخلع عليه الشرابي • وقلده سيفا • وأمطاه فرسا • وأعطاه كوسات[٢] واعلاما • فركب في جمع كبير من الامراء ، والاجناد • ودخل الجامع ، فقرىء عهده به بمحضر من أهل البلد وغيرهم ، قرأه عارض الجيش المار ذكره ، وكان قد عُين وزيرا له • وركب شمس‌الدين باتكين الى القلعة ، ونزل في دار الامارة التي كان يسكنها مظفرالدين • ثم خلع اقبال الشرابي على ظهيرالدين المذكور ، وعلى المشرف • ورتب معهما كاتبا • كما عين له عارضا للجيش هناك ، ومشرفا[٣] على العارض وخلع عليهما •

وبعد أن قرر اقبال الشرابي القواعد لادارة اربل ، وفرغ مما يريده ، رحل عائدا الى بغداد ، والامراء والعساكر في خدمته • فاستقبل في بلدة الخالص • ونزل بقرية أبي النجم فصلى في أول عيد الاضحى هناك ، ونحر ، وضحّى ، ومدّ سماطاً عظيما • ثم رحل في اليوم التالي متوجها الى بغداد • فلما وصل ظاهر سوق السلطان[٤] مما يلي باب المعظم خلع على جميع أصحابه ، ومَنْ كان في خدمته من النواب ، والاتباع ، والحاشية • وخرج اليه جميع الولاة ، وأرباب المناصب ، والاماثل ، والاعيان • فلقوه بظاهر السور • ولم يتخلف أحد عن الخروج سوى الوزير • ثم سار حتى وصل دجلة • ونزل عند المُسناة في شُبّارة الخليفة • وقبّلها ،

---

(١) ابن الناقد : أبو الازهر ، عربي هاشمي وهو الذي تولى بناء المدرسة الشرابية ببغداد • وقد تولى الوزارة للمستنصر والمستعصم • توفي سنة ٦٤٢هـ •

(٢) الكوسات : صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بايقاع مخصوص • والكوسي هو الذي يضرب بالصنوج • راجع صبح الاعشى ج ٤ : ٩ ، ١٣ •

(٣) المشرف : هو المراقب أو المفتش المالي ويكون تحت يد الصدور ، والنظار ، والخزان • راجع صبح الاعشى ٤ : ١٣ •

(٤) سوق السلطان : أي محلة الميدان الحالية •

وتضرع بالدعاء ، وبكى • فخشع الحاضرون لبكائه • ثم نزل فيها ، وانحدر الى دار الخلافة[1] • فتُلقي بالاكرام • ثم خُلع عليه • وقُلِّد سيفين • وقُدم له فرس فركبه من باب البستان[2] ورُفع وراءه سنجقان • وأما الامراء جميعهم ، فانهم دخلوا البلد ، وقصدوا دار الخليفة • ودخلوا من باب الحرم بموجب ما رُسم لهم • وجلسوا في باب الاتراك الى أن خرج اقبال الشرابي راكبا فقبلوا يده ، ومشوا بين يديه • ثم ركبوا وساروا في خدمته الى داره بالبدرية • فلما نزل عن مركوبه خدموا ، وعادوا قاصدين دار نائب الوزارة نصيرالدين بن الناقد فلما لقوه خلع عليهم أجمعين ، وأعطى كل واحد فرسا بمركب ، وخمسة آلاف دينار • وأنعم على مَنْ دونهم على قدر مرتبته من الالفين الى الخمسمئة • ثم خلع على جميع المماليك الناصرية ، والظاهرية ، والمستنصرية[3] • وأعطى كل واحد خمسين دينارا • ثم أنعم على جميع الجند ، ومماليك الامراء ، والعرب من ثلاثين الى خمسة عشر ...[4] •

٢ ـ الاستيلاء على اربل بعد حصار المغول لها سنة ٦٣٤هـ :

وصلت الاخبار من اربل الى بغداد على جناح طائر من حمام الزاجل في ١٧ شوال سنة ٦٣٤هـ بنزول جيوش المغول على اربل ، وتطويقهم لها ، وتحصن أهلها ، وغلق أبوابها ، وصمود قلعتها • فتوجه اليها الامير شمس‌الدين اصلان تكين الناصري مع ثلاثة آلاف فارس بغير ثقل[5] على وجه السرعة • فتوجهوا في ٢٠ شوال سنة ٦٣٤هـ • وتوجه بعدهم الامير

---

(١) دار الخلافة : أي دار الخلافة العباسية ببغداد • وتوصف بالدار العزيزة النبوية •

(٢) باب البستان : أي بستان التاج بدار الخلافة •

(٣) المماليك المنسوبون الى الخلفاء : الناصر ، والظاهر ، والمستنصر •

(٤) الحوادث الجامعة ص ٤٨ ـ ٥٠ •

(٥) ويقال في مثل هذه الاحوال : ركب جريدة أي دون ان يأخذ معه حشوداً أو اثقالا • وفي القاموس الجريدة : الفرقة من العسكر الخيّالة التي لا رجّالة فيها •

مجاهدالدين أيبك الدويدار في جماعة من مماليكه .. ثم خرج نحوهم الامير شرف‌الدين الشرابي ، ومعه جماعة من الامراء ، والمماليك .

ولما كانت هذه الحملة في الوقت الذي يتأهب الناس فيه الى الحج من ناحية ، ولما كان الناس يخشون المغول من ناحية أخرى فقد أرادت الحكومة اعلان الجهاد ، ولذلك أحضر نصيرالدين نائب الوزارة : المدرسين ، والفقهاء . واستفتاهم فيما اذا اتفق الجهاد والحج فأيهما أولى ؟ فأفتوا : بأن الجهاد أولى . فأُبطل الحج في تلك السنة . وأمر المدرسون ، والفقهاء ، ومشايخ الرُّبُط والصوفية برمي النشاب ، والاستعداد للجهاد . وولي الامر أيدمر الاشقر الناصري شحنة[1] بغداد . ووقع الاستظهار بنصب المجانيق على سور بغداد . وأصلح الخندق .

أما المغول فانهم نزلوا على اربل ، وحصروها ، ونصبوا المناجيق عليها : وقصدوا جهة من السور ، فهدموا منه قطعة كبيرة . ودخلوا البلد عنوة ، وقهرا . فتحصن أهل اربل ، ومعظم العسكر بالقلعة . وقاتلوهم أشد قتال . وكان بدرالدين صاحب الموصل قد أمد المغول بما يحتاجون اليه من ميرة ، وآلة وغيرها . وأعوز أهل قلعة اربل الماء . فتلف منهم الوف كثيرة بالعطش . ولم يمكن دفنهم لضيق الموضع ، ولا القاؤهم في الخندق لئلا يسد ، فأحرقوا بالنار . ثم عاث المغول في البلد أشد العيث نهباً ، وأسراً ، واحراقاً وتخريباً . ثم وجهوا همهم الى القلعة . وجدُّوا في نصب المناجيق عليها . وكان الامير باتكين يحكم المدينة باسم المستنصر منذ وفاة مظفرالدين كوكبري ، لذلك سير الخليفة جيوشه كما يقول ابن ابي الحديد : مع مملوكه ، وخادم حضرته ، وأخص مماليكه به شرف‌الدين اقبال الشرابي . فساروا الى تكريت . فلما بلغهم شخوص عساكر الخليفة ، رحلوا راجعين الى بلادهم[2] ، في سادس ذي الحجة . فورد الخبر بذلك

---

(١) الشحنة : وهو الذي يتولى أمر الشرطة .

(٢) راجع نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٧٠ . والوفيات ١ : ٤٣٦ . والعسجد المسبوك الورقة ١٥٣ .

الى اِقبال الشرابي فرجع ، والعساكر والامراء في خدمته الى بغداد • فدخلها في ثالث عشر المحرم سنة خمس وثلاثين وستمئة •

٣ ـ رد جيوش المغول عن بغداد سنة ٦٣٤هـ وسنة ٦٣٥هـ :

قال ابن العبري في أخبار سنة ٦٣٤هـ : وفيها غزا التتر العراق • ووصلوا الى تخوم بغداد الى الموضع الذي يسمى زنكاباذ والى سرّ مَرّأى • فخرج اليهم مجاهدالدين الدويدار ، وشرف‌الدين اقبال الشرابي في عساكرهما ، فلقوا المغول وهزموهم • وخافوا من عَوْدهم فنصبوا المنجنيقات على سور بغداد[١] •

وفي سنة ٦٣٥هـ استفحل أمر المغول ، فوصلت عساكرهم الى بغداد • فخرج اقبال الشرابي[٢] الى لقائهم • وظهر من حُسن تدبيره ما أوجب زيادة الانعام عليه • وتفصيل ذلك فيما ذكره صاحب الكتاب الذي سمي بالحوادث الجامعة ، وابن وهاس الخزرجي : ان المغول قصدوا « دقوقا » وانبثوا في سنة ٦٣٥هـ في أعمال بغداد ، وعاثوا بها أشد العَيْث • فوصل الخبر الى بغداد فخرج شرف‌الدين اقبال الشرابي مبرزا الى ظاهر البلد • وأمر خطيب جامع القصر أبا طالب المهتدي بان يحرّض في خطبته على الجهاد • ففعل ذلك ••• وأجاب الناس بالسمع والطاعة •

وقدم أهل السواد من « دقوقا » وغيرها الى بغداد معتصمين بها • وتضاعفت اجرة المساكن • وانزعج الناس لذلك • وتتابع خروج الامراء ، والعساكر الى ظاهر البلد • وركب الخليفة المستنصر بالله •• وظهر للأمراء • وأمرهم المشورة • فقال كل واحد ما عنده • وسهّل جمال‌الدين قشتمر الامر في لقائهم • وعيّن اقبال الشرابي على جماعة من الامراء فتوجهوا الى القليعة • ونزلوا بها • فبلغهم ان المغول في جمع كثير وهم بالقرب من الجبال • فساروا نحوهم • فلما قاربوهم تَعَبَّوا ميمنة ،

---

(١) مختصر الدول ص ٣٣٨ •
(٢) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٤ •

وميسرة ، وقلبا • فلما شاهدت عساكر المغول ذلك ولّوا راجعين • فتبعهم جماعة من العسكر فقتلوا منهم جمعاً كثيرا • وأسروا منهم جماعة • وغنموا من دوابهم ، وأثقالهم • وأرسلوا الى الامير شرف‌الدين اقبال الشرابي برؤوس كثيرة • فضربت البشارة عند مخيمه • وخلع على الواصلين بالخبر • واستأذن اقبال الشرابي في دخول بغداد فأذن له • فدخلها في مستهل شهر ربيع الاول من السنة ٦٣٥هـ[١] هو والامير جمال‌الدين قشتمر والعسكر •

ولما وصل الخبر في آخر شهر رجب المبارك : أن عساكر المغول قد سارت نحو بغداد ، صدرت الاوامر الى قواد الجيش بالخروج الى ظاهر البلد • فخرج الامير جمال‌الدين بكلك الناصري ، والامير جمال‌الدين قشتمر وغيرهما من الامراء • وخيموا ظاهر بغداد أي في خارج أسوارها • وقد كاتب الخليفة ملوك الاطراف يستنجدهم ، ويعرفهم الحال • فجاءته الامدادات من بعلبك ودمشق • وكان أول من وصل في شهر رمضان ولدا الملك الأمجد[٢] بهرام شاه بن فروخشاه صاحب بعلبك ، وهو ابن الملك السعيد شاهنشاه بن أيوب • والملك المظفر عمر ومعهما ألف فارس • فخرج الموكب الى لقائهما مصدراً بحاجب الباب فدخلا وقبّلا العتبة[٣] فخلع عليهما ، وعلى الامراء الواصلين صحبتهما • ثم خرجا وأنزلا في المخيم بظاهر السور •

ثم وصل بعدهما الملك خضر بن صلاح صاحب دمشق ، ومعه ستمئة فارس • وبعد استقباله دخل البلد وخلع عليه وعلى أصحابه • وخرج الى ظاهر السور • وخرج شرف‌الدين اقبال الشرابي أيضا الى مخيمه ، وتكملت العساكر عنده • ولما تمت تعبئتها أمرهم الشرابي بالمسير الى لقاء المغول • فساروا في شوال من تلك السنة • وكانت عدتهم سبعة آلاف

---

(١) الحوادث الجامعة ص ١٠٩ ـ ١١٠ والعسجد المسبوك الورقة ١٥٤ •

(٢) راجع الوفيات ١ : ٢٤٠ • وفوات الوفيات ١ : ٨١ • والعسجد المسبوك الورقة ١٥٤ •

(٣) أي عتبة باب النوبي •

فارس • فوصلوا قريبا من جبل خانقين • وكانت الاستخبارات العسكرية قد أبلغت القائد جمال‌الدين بكلك ، ان عدة عساكر المغول خمسة آلاف فارس • « وفي العسجد ١٥ ألف »[١] فلما عرف جمال‌الدين بكلك ذلك سار ليله أجمع ، ليدركهم نازلين ، فكبسهم • فلما أسفر الصبح ، عبر هو والامراء الذين معه والعسكر قنطرة هناك • فلما تم عبور القنطرة ، بان لهم غبار عساكر المغول وهم سائرون نحوهم • فواقعوهم على تعب وسهر • واقتتلوا قتالا شديدا • وانكسرت ميمنة المغول وميسرتهم • ولم يبق الا القلب • فحينئذ ظهرت كوامن كانت لهم • وأحاطوا بعسكر بغداد الذي كان يتتبع فلول المنهزمين من المغول • فانهزمت حينئذ عساكر بغداد • وقتل منهم خلق كثير • وهلك معظمهم جوعا وعطشا • وعاد من سَلِم منهم الى بغداد • وقتل القائد جمال‌الدين بكلك ، وطبرس ، وطغرل الحلبي ، وقيصر الظاهري ، وبهاءالدين علي الاِربلي ، وكيكلدي بن قرغوي ، وجماعة من كبار الزعماء[٢] يطول ذكرهم • وكانت هذه الوقعة يوم الخميس ثالث ذي القعدة •

وقد أشار ابن العبري الى هذه الواقعة في أخبار سنة ٦٣٤هـ فقال : وفي آخر هذه السنة عاد التتر الى بلد بغداد ووصلوا الى خانقين • فلقيتهم جيوش بغداد فانكسروا ، وعادوا منهزمين الى بغداد بعد أن قتل منهم خلق كثير • وغنم المغول غنيمة عظيمة وعادوا[٣] •

وقد وصل الخبر الى بغداد على جناح طائر من حمام الزاجل يوم الجمعة رابعه ، فانقلب البلد وماج بأهله • ووصل اِثر الطائر أهل طريق خراسان ، والبندنيجين[٤] وغيرهم منتزحين عن أوطانهم • وقدم ابن أبي

---

(١) ابن وهاس • الورقة ١٥٤ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ١١٣ • والزعماء : مفردها زعيم وهو كمتصرف اللواء اليوم وهم هنا قادة الجيش وامراؤه •

(٣) مختصر الدول ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ •

(٤) البندنيجين : بلدة في طرف النهروان من ناحية الجبل ، وكانت تعد من أعمال بغداد « ياقوت ١ : ٤٩٩ » وهي مدينة مندلي الحالية •

عيسى صدر المخزن ، ومشرفه ، والعمال ، والنواب[1] • وكثر الرهج ، وضج الناس • فتقدم الخليفة الى كافة الامراء بالتبريز • وفتحت أبواب السور فخرجوا في تلك الليلة • وخرج اقبال الشرابي[2] • ويظهر أنهم خيموا جميعهم ظاهر الاسوار • وخرج الخليفة لينظر المخيم والعسكر ، فبلغ الشرابي ذلك فركب عَجِلاً للقائه • فظن الناس ان الشرابي انما فعل ذلك لأمر حدث • فركب معظم العسكر منزعجين • ووصل الخبر الى عوامّ البلد وخواصّه • فخرج اكثرهم متسلحين ، فلما عرفوا حقيقة الحال سكنوا واطمأنوا •

أما المغول فانهم حازوا الغنائم • وعادوا راجعين من خانقين • وراسلوا الخليفة • فوصل رسوله في شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وستمئة ، فأنفذ العَدْل جعفر بن محمد بن عباس البطائحي ، ناظر التركات ، صحبة الرسول الوارد من « جرماغون » مقدمهم • وكان عَوْده في سنة سبع وثلاثين وستمئة • واجتمع به بالقرب من قزوين • وأذن لاقبال الشرابي ، والامراء ، والعساكر ، بالدخول الى بغداد ، فدخلوا في آخر شهر ربيع الآخر[3] •

٤ ــ رد المغول عن بغداد سنة ٦٤٢هـ و ٦٤٣هـ :

ذكر ابن العبري أن التتر أغاروا على بغداد في سنة ٦٤٢هـ ولم يتمكنوا من منازلتها[4] • ويذكر صاحب الحوادث الجامعة[5] انه في المحرم سنة ٦٤٣هـ وصل الخبر الى بغداد من اربل أن المغول خرجوا من همذان في ستة عشر الفاً • وقصدوا الجبل[6] ، فأمر الخليفة المستعصم بالاستعداد للقائهم ، وتبريز العسكر الى ظاهر السور • فخرجوا على التؤدة

(١) النواب : الرؤساء الاداريون •
(٢) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٤ •
(٣) الحوادث الجامعة من ص ١١١ ــ ١١٤ •
(٤) مختصر الدول ص ٤٤٦ •
(٥) ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ •
(٦) هو جبل حمرين •

والهُوَيْنَى • فوصل الخبر ان طائفة منهم قصدوا خانقين • ووقعوا على جماعة من أصحاب الامير شهاب الدين سليمان شاه بن برجم زعيم الايوائية[1] • وقربوا من بعقوبا • ونهبوا ، وقتلوا • ووصل أهل طريق خراسان ، والخالص الى بغداد • فأمر حينئذ باستنفار الاعراب من البوادي ، والرجالة من الاعمال «الولايات» • وتفريق السلاح ، ورفع المناجيق على السور • وخرج شرف الدين اقبال الشرابي الى مخيمه بظاهر السور • فوصل اليه رسول من الامير فلك الدين محمد بن سُنْقُر المعروف بوجه السبع • وكان بالقلعة ، « يَزَك »[2] يخبره بوصول المغول ومحاذاتهم له • فركب في الحال ، ورتّب من يتوجه لمساعدة فلك الدين المذكور • ثم أخذ في تعبئة الجيوش ، وترتيبها ميمنة وميسرة • فوصلت عساكر المغول ، ونزلوا بازائهم • وجرت بين الفريقين حرب ساعة من نهار • ثم باتوا على تعبئتهم ، فلما أصبحوا لم يجدوا من عساكر المغول أحدا •

ثم ورد الخبر ، أن طائفة منهم عبرت الى دُجَيْل • فقتلوا ونهبوا • فنفذ اليهم جماعة من العسكر والعرب نحو ثلاثة آلاف فارس • وقدّم عليهم الامير قزقز[3] الناصري • فلما عرفوا بعبور العساكر اليهم رجعوا •

ويذكر ابن أبي الحديد[4] حركة التتر الى بغداد في سنة ٦٤٣هـ بالصورة الآتية :

---

(١) جاء في نهج البلاغة ٢ : ٣٧٠ : سليمان بن برجم • وهو مقدم الطائفة المعروفة بالايواء وهي من التركمان • وورد في الحوادث الجامعة ١٩٩ «سلمان» بدلا من سليمان وفي العسجد المسبوك • الورقة ١٩٢ : والامير شهاب الدين سليمان بن محمود ملك الايوانية « وقد تقرأ الايوائية » • وفي حديث للاستاذ « فروزنفر » الايراني القاه في احتفالات بغداد والكندي ببغداد « شهاب الدين سليمان شاه بن برجم ايوائي » •

(٢) يزك : الطلائع الاستكشافية •

(٣) ويرد الاسم كركر في ص ١١٠ من كتاب الحوادث الجامعة •

(٤) ٢ : ٣٧٠ ـ ٣٧١ •

ان التتر خرجوا الى بغداد في شهر ربيع الآخر فلما قربوا منها ، وشارفوا الوصول الى المعسكر البغدادي في ظاهر السور ، أخرج المستعصم الخليفة ، مملوكه ، وقائد جيوشه شرف‌الدين اقبالا الشرابي الى ظاهر السور • وكان خروجه في اليوم السادس عشر من هذا الشهر المذكور • ووصلت التتر الى سور البلد في اليوم السابع عشر فوقفوا بازاء عساكر بغداد صفا واحدا • وترتب العسكر البغدادي ترتيبا منتظما • ورأى التتر من كثرتهم ، وجودة سلاحهم ، وعُدَدهم ، وخيولهم ما لم يكونوا يظنونه ، ولا يحسبونه • فحمل التتر على عسكر بغداد حملات متتابعة فثبت لهم عسكر بغداد • وكانت بين الجيش مناوشات ، وحملات خفيفة ارتحل التتر على أثرها ليلا الى بلادهم •

وبعد أن ارتحل التتر أخذت جيوش بغداد تدخل المدينة • ويظهر أن دخولها كان يجري بترتيب خاص فقد جاء في العسجد المسبوك أن أول مَنْ دخل :

العساكر الذين كان يقودهم الامير مجاهدالدين ايبك المستنصري الخاص وهو الدويدار الصغير ، ومَنْ انضم اليه ، وذلك في ثاني جُمادى الآخرة •

ثم دخل الدويدار الكبير ومَنْ انضم اليه في الثالث منه •

وفي اليوم الرابع دخلت خزانة السلاح •

وفي الخامس من الشهر المذكور دخل شرف‌الدين اقبال الشرابي وهو آخر من دخل •

وخرج كافة العسكر في لقاء اقبال الشرابي • كما خرج القضاة ، والفقهاء ، والمدرسون ، وسائر الولاة ، وحاشية الديوان ، والحُجّاب ، وحضروا خدمته ، وقبلوا يده[1] •

---

(١) ابن وهاس • الورقة ١٦٧ •

وظل المغول يعيثون بأطراف البلاد • وكان الديوان في شغل شاغل بأمرهم • وكثيرا ما انقطع الحج من العراق بسببهم • ويمكننا أن نشير الى أن المغول في سنة ٦٤٧هـ دخلوا خانقين وما يجاورها ، وقتلوا هناك مقتلة عظيمة • ونهبوا كثيرا من الحيوانات • وجفل الناس عن طريق خراسان ، والخالص • ودخلوا بغداد • وأصدر الديوان أوامره الى الامراء ، والعساكر بالخروج الى ظاهر بغداد كما طلب الى كافة أهل البلد برمي النشاب • وأنذروا بالاستعداد ، وتعليق السلاح في الاسواق ، والخانات ، والدكاكين ، والمبيت في الاسواق ، واشعال الاضواء بجانبي مدينة السلام[١] • ونفذت الطلائع الاستكشافية ومعها حمام الزاجل ليخبروا بصورة الحال • فعادوا وأخبروا أن المغول رجعوا بعد أن قتلوا في داقوق خلقا كثيرا ، وأسروا جماعة[٢] ، وأوقعوا في سنة ٦٥٠هـ وقائع كثيرة في الجبال ، والجزيرة[٣] • وكان اقبال الشرابي هو الذي يتصدى لهم باستمرار بحزمه وهمته •

وبعد موت اقبال الشرابي سنة ٦٥٣هـ أهمل أمر الجيش فتجرأ المغول على مهاجمة بغداد ، ولم يمض بعد أكثر من سنتين على وفاته • ففي سنة ٦٥٥هـ وصل هولاكو الى خانقين فبرزت العساكر الى ظاهر بغداد • وكان قد رسم الخليفة ان يكون الاستاذ مرشد الشرفي أحد خدام شرف الدين اقبال الشرابي في مقام استاذه مقدما على كافة العساكر • فأنف العسكر ، وامتنعوا من ذلك لاسيما مجاهدالدين ايبك الدويدار • وكان ذلك أول خلف وقع به الوهن[٤] •

ويقول صاحب كتاب الحوادث الجامعة : ان الخليفة أهمل حال الجيش •

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٦ •
(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٤١ •
(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ •
(٤) الحوادث الجامعة ص ٣٢٠ والعسجد المسبوك الورقة ٩٠ •

ومنعهم أرزاقهم ، وأسقط اكثرهم من دساتير ديوان العرض فآلت أحوالهم الى سؤال الناس ، وبذل وجوههم في الطلب في الاسواق ، والجوامع[1] . وتمكن المغول من فتح بغداد في سنة ٦٥٦هـ ، وقتل المستعصم ، واكثر آل البيت العباسي وعدد كبير من العلماء . والقضاء على الخلافة العباسية ببغداد الى الابد .

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ .

الفصل السادس

مدارس الشرابي وأعماله الخيرية

يظهر مما كتبه أكثر المؤرخين الذين بحثوا في سيرة الشرابي أنه كان أثيراً عند الخليفتين العباسيين المستنصر بالله ، والمستعصم بالله كما ثبتنا ذلك في الفصول السابقة • ويظهر لنا أيضا أنه كان يتقرب الى هذين الخليفتين والى الناس كافة باحسانه ، وصلاته[1] ، وصدقاته • ذكر الصفدي قال : « كان اقبال الشرابي يُنفذ الى ابن الساعي الذهب ، ويحترمه • وله في اقبال مدائح ••• »[2] •

وقد عرف الشرابي أيضا بخدمة العلم ، والدين ، وبالاعمال الجليلة الاخرى التي كان يقوم بها ، كبناء المدارس ، والرُبُط ، ووقف الاوقاف الكثيرة عليها •

ولقد اجمع المؤرخون الذين ذكرناهم في الفصل الاول من هذا الباب على أن شرف‌الدين الشرابي بنى ثلاث مدارس في العراق والحجاز •

الاولى بناها ببغداد في خلافة المستنصر بالله • وتكامل بناؤها في شوال من سنة ٦٢٨هـ[3] •

والثانية بناها بواسط في خلافة المستنصر بالله أيضا • وتكامل بناؤها في شعبان سنة ٦٣٢هـ[4] •

والثالثة بناها بمكة المكرمة ، وفتحت في خلافة المستعصم بالله سنة ٦٤١هـ[5] •

ومن الاعمال الخيرية التي قام بها اقبال الشرابي الاعمال الآتية :ـ

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٠٨ •
(٢) الوافي ج ١٢ الورقة ١٢ •
(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٤ ـ ٢٥ •
(٤) الحوادث الجامعة ص ٧٦ •
(٥) الاعلام لقطب‌الدين ص ١٦٠ •

١ ـ تجديد جامع واسط ـ بنى جامعا بواسط الى جانب مدرسته التي بناها هناك في سنة ٦٣٢هـ[١] . وجاء في الحوادث الجامعة ان هذا الجامع كان داثراً فأمر بتجديد عمارته[٢] .

٢ ـ تجديد رباط مكة ـ جدد بمكة المكرمة ، الرباط الذي اشتهر به وذلك في سنة ٦٤١هـ[٣] . وذكر هذا التجديد مؤلف الحوادث الجامعة[٤] فقال : انه جدد بمكة الرباط الذي اشتهر ذكره في الدنيا . وذكر تقي الدين الفاسي المكي[٥] أن هذا رباط الامير اقبال الشرابي المستنصري العباسي كان عند باب بني شيبة ، على يمين الداخل من باب السلام الى المسجد الحرام . وتأريخ عمارته له في سنة احدى وأربعين وستمئة . وللشرابي عليه أوقاف كثيرة من الكتب والمياه وغير ذلك بوادي مرّ ، ونخلة . وذكر[٦] أيضا بئرا كانت في هذا الرباط .

٣ ـ بناء عيْن عَرَفَة ـ بنى الشرابي عين عرفة ، التي في الموقف . وأجرى ماءها لانتفاع الحجاج بها . وأوقف على ذلك كله أوقافا سنية[٧] .

٤ ـ بناء البِرَك التي بعرفة . قال تقي الدين الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـ : وبعرفة عدة برك . وغالبها الآن ممتليء بالتراب حتى صار ذلك مساويا للأرض . وبعضها من عمارة العجوز والدة المقتدر[٨] . وعدا ذلك خمس بِرَك ، وتاريخ عمارتها سنة خمس عشرة وثلاثمئة . وبعضها عَمَرَه المظفر صاحب اربل في سنة اربع وتسعين وخمسمئة ،

---

(١) الشذرات ج ٥ ص ٢٦١ .
(٢) الحوادث الجامعة ص ٧٦ .
(٣) الشذرات ج ٥ ص ٢٦١ .
(٤) ص ٣٠٨ .
(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣١ .
(٦) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٠ .
(٧) الشذرات ٥ : ٢٦١ والحوادث الجامعة ص ٣٠٨ .
(٨) اسمها : شغب .

وفيما بعدها • وبعضها عَمَره إقبال الشرابي المستنصري في سنة ثلاث وثلاثين وستمئة • وعمارتهما للبرك[1] المكتنفة بعين عرفة أيضا • واسم

---

(١) شفاء الغرام ج١ ص٣٤٠ • جاء في الحاشية المرقمة (٢) من هذه الصفحة ، انهذه البرك موجودة حتى الآن [سنة ١٩٥٦م] لان ادارة (عين زبيدة) ، قائمة على الدوام باصلاحها ، وتعمير المتداعي منها ، لانتفاع الحجاج بالشرب ، والاستحمام منها • وقد كانت مكشوفة ومعرضة للتلوث فرئي أن تغطى ، ويعمل بدلا منها حنفيات متعددة ، في جميع أنحاء عرفات ، لتعميم المنفعة •

وجاء في كتاب شفاء الغرام :

ان معاوية فيما ذكر الازرقي والفاسي قد أجرى في الحرم عيونا واتخذ له أخيافا • وكان حوائط وفيها الزرع والنخل • وقد كانت عيون معاوية تلك قد انقطعت وذهبت فأمر أمير المؤمنين الرشيد بتجديدها فعملت واحييت ، وصرفت من عين واحدة • وكان الناس بعد تقطع هذه العيون في شدة الحاجة الى الماء • وكان أهل مكة والحجاج يلقون في ذلك المشقة وبخاصة في المواسم فبلغ ذلك ام جعفر فأمرت في سنة ١٧٤هـ بعمل بركتها التي بمكة فأجرت لها عينا من الحرم فجرت بماء قليل فلم يكن فيه ري لأهل مكة • وقد عزمت في ذلك عزما عظيما فأمرت المهندسين أن يجروا لها عينا من الحِل • ثم أمرت من يزن عينها الاولى فوجدوا فيها فسادا فانشأت عينا اخرى الى جنبها وابطلت تلك العيون فعملت عينها هذه بأحكم ما يكون من العمل •• فلم تزل تعمل فيها وأمرت بالجبل فضرب فيه وانفقت في ذلك من الاموال ما لم تكن تطيب به نفس كثير من الناس حتى أجراها الله على يديها وأجرت عيوناً من الحِل منها عين المشاش • واتخذت له بركا تكون فيها السيول اذا جاءت تجتمع فيها ، ثم أجرت لها عيونا من حُنين واشترت حائط حُنين فصرفت عينه الى البركة وجعلت حائطه سدا يجتمع فيه السيل • وذكر المسعودي انها صرفت على عين المشاش هذه بعد أن أخرجتها من مسافة اثني عشر ميلا الى مكة نحو مليون وسبعمئة ألف دينار • وجاء في الوافي [ج٨ الورقة ٨١] • ان زبيدة كانت تقول لوكيلها : اعملها ولو كانت ضربة الفأس بدينار • ويقول الفاسي : ولعل هذه العين هي عين « بازان » • ويعلق محققو الكتاب [في الحاشية ٢ من الصفحة ٣٤٧] بأنها تعرف اليوم بعين زبيدة وهي التي اضيفت اليها مؤخرا عيون حتى أصبحت موردا عذبا لكل سكان مكة وزائريها • =

إقبال باقٍ على بعض البرك التي حول جبل الرحمة[1] .

وتظهر أعمال إقبال الشرابي الخيرية الأخرى فيما كان ينفقه من أموال طائلة ، وفيما كان يخلعه على الناس في الاحتفالات التي كانت تقام ببغداد ، ودار الخلافة ، في المناسبات والمواسم المختلفة ، وفيما كان يفرّق من الرسوم الرجبية ، والوظائف الرمضانية ، وهدايا الأعياد ، اصالة عن نفسه ، ونيابة عن الخليفة .

ولهذه الاحتفالات قيمة كبيرة لأنها تزودنا بمعلومات قيّمة عن الحياة الاجتماعية ، وحياة البذخ ببغداد . كما تزودنا بأرقام ، واحصائيات طريفة عما كان يخرج من المخزن المعمور ، وما يدخل اليه من أنواع الآلات الموسيقية ، والعسكرية ، ومختلف المآكل ، والملابس وغيرها من الأموال النقدية أو العينية . وهي تشرح لنا كثيرا من العادات ، والتقاليد البغدادية التي لا تزال متبعة ببغداد . كما اننا نجد في الوقت نفسه بعض الكلمات العامية التي ما تزال مستعملة عندنا مثل : كش الطلع ، وكليجا ، وبقجة ،

= وقد عمر هذه العين جماعة من الخلفاء والملوك منهم المستنصر العباسي غير مرة منها مرة في سنة ٦٢٥هـ ومرة في سنة ٦٣٤هـ ومنهم الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراقين عن السلطان أبي سعيد وذلك في سنة ٧٢٦هـ . وظلت عين حُنين تجري الى مكة ، وعين نعمان تجري الى عرفة فمزدلفة ، ثم الى بئر بقرب مكة . وفي أوائل عهد العثمانيين انقطعت المياه وعادت عين زبيدة الى النضوب فأمر السلطان سليمان القانوني سنة ٩٧٠هـ باصلاحها واصلحت عين حُنين وبنيت المجاري التي اوصلت المياه الى مكة .

(١) جبل الرحمة في آخر البسيط الذي يسمى « عرفات » . وفيه وحوله موقف الناس . ويوجد علمان قبله بنحو الميلين . ويقال للاماكن التي أمام العلمين الى بسيط عرفات : « الحِلّ » أما مادون العلمين فهو : « الحرم » راجع ابن جبير ص١٥١ .

وفي المنتقى من شفاء الغرام ص٨٦ من الطبعة الاوربية :

ان الاعلام ثلاثة سقط منها واحد .. وفيها أحجار مكتوب في بعضها ان المظفر صاحب اربل أمر بانشاء هذه الاعلام الثلاثة ... وفيه مكتوب بتاريخ شعبان سنة ٦٠٥هـ وقال التقي الفاسي : ورأيت مثل ذلك مكتوباً في حجر ملقى في أحد العَلَمَيْن الباقيين . وفي هذين العلمين مكتوب أمر بعمارة علَمَيْ عرفات . وأضاف كاتب ذلك هذا الأمر للمستنصر العباسي . ثم قال : وذلك في شهور سنة أربع وثلاثين وستمئة » .

والسنبوسج ... الخ .

ويمكننا أن نصنّف هذه الاحتفالات ، والمواسم التي كان يشارك فيها إقبال الشرابي الى الأنواع الآتية :

١ ـ الاحتفالات بالأعياد الدينية كعيد الفطر ، وعيد الأضحى .

٢ ـ حفلات الختان .

٣ ـ الاحتفالات بموسم الحج ، وتهيئة الأحواض والروايا على دجلة بالجانب الغربي من بغداد .

٤ ـ حضور ترب الخلفاء بالرصافة مما يلي محلة أبي حنيفة .

٥ ـ الاحتفال بشهر رجب ، وتوزيع الرسوم الرجبية .

٦ ـ الاحتفال بشهر رمضان ، وتوزيع الوظيفة الرمضانية .

٧ ـ حفلات رأس السنة الهجرية في أول المحرم ، حيث كان يجلس الوزير للهناء في الديوان ، ويحضر الشعراء ، وينشدون القصائد .

الختان :

وسنذكر احدى حفلات الختان الفخمة التي استمرت أكثر من عشرة أيام ، من ليلة اليوم السادس عشر من ذي الحجة سنة ٦٤٤هـ الى غاية اليوم السابع والعشرين منه . وكان لاقبال الشرابي دور مهم فيها . فقد جاء في كتاب العسجد المسبوك[١] في حوادث سنة ٦٤٤هـ أنه جرى بعد عيد الأضحى يوم السبت ليلة السادس عشر من ذي الحجة ختان السادة الامراء : أبي العباس أحمد ، وأبي الفضائل عبدالرحمن ابني الامام المستعصم بالله ، والأمير علي ابن الأمير أبي القاسم عبدالعزيز بن المستنصر . وخُتن في خدمتهم غازي ابن الأمير ايبك الخاص الدويدار الصغير . وغازي ابن الأمير أصلان تكين الناصري . وأحمد ابن الأمير محمد بن ايبك الانباري الناصري . وشُرّف بمباشرة الختان الحكيم مسعود بن انقس ساعور[٢] المارستان .

---

(١) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٩ .

(٢) الساعور : العميد والرئيس .

وقد خُلع بهذه المناسبة على الاستاذ إقبال الشرابي يوم السبت المذكور ، وقُلِّد سيفين • ثم على الاستاذ كافور الظاهري • ثم على جميع الخدم وعدتهم أربعمئة • ثم على الفراشين ، والبوابين ، وحاشية دار التشريفات ، والنواب • ثم على الطبيب •

ويذكر ابن وهّاس الخزرجي أيضا[1] أن ذهبا مبلغه ألف دينار نُثر على فرسين قُدِّما بهذه المناسبة للأمير الذي قد يكون عليا بن المستنصر • وقد التقطه الحاضرون • وفي الوقت نفسه نَثر إقبال الشرابي ألف دينار ، وثيابا قيمتها خمسمئة دينار •

وقد حضر بعد ذلك عند إقبال الشرابي في باب البدرية ، خلق كثير من المغنين وغيرهم فأنعم عليهم الشرابي بعشرة آلاف درهم •

وفي يوم الأحد سابع عشر الشهر المذكور حُمل الأمير علي ابن أخي الخليفة في محفّة مغشاة بأسود ، يحملها مملوكان من مماليك الشرابي ، وبين يديها إقبال الشرابي، وجماعة من كبراء الخدم ، والمطربين • وحُمل معه عشرة آلاف دينار ، وثياب بما يقرب من ذلك • ثم خلع على وكيل أخي الخليفة المذكور ، ونواب ديوانه ، وحاشيته ، وخدمه ، وغلمانه •

وخرج غازي ابن الأمير أصلان تكين ، وأحمد بن محمد ابن الانباري من البدرية • وأعطي كل واحد منهما ثلاثة آلاف ، و « بقچة » فيها فاخر الثياب • وكان ما انفق في هذا الوجه من المال يزيد على مئة ألف دينار •

قال ابن الخازن[2] : قرأت بخط متولي مطبخ الاقامات بالمخزن ماهذا صورته : المحمول من مطبخ الاقامات الكريمة الى الباب الشريف برسم المهم المبارك في شهر ذي الحجة سنة أربع وأربعين (أي في سنة ٦٤٤هـ) من الأجناس • نذكر منها[3] :

---

(١) الورقة ١٦٩ من العسجد المسبوك •
(٢) العسجد المسبوك • الوقة ١٦٩ •
(٣) لم تصحح ما فيها من أغلاط •

٢٢٠٠٠٠	رطل خبزاً فايقا
٢٩٠٠	قطعة دجاجا
١٥٠٠	رأس غنم مشوية
٥٠٩٠٠	بيضة
١٤٠٠	رطل سكرا أبلوجا برسم الجلاب[١]
٣	اكرار خشكنان ، وأقراص
١٧٠٠	صحن حلوى رطبة
١٥٠٠	صحن حلوى يابسة
٥	كارات[٢] دقيق برسم السنبوسج[٣]
٥٠٠٠	رطل شمعا
٦١	موكبية[٤]
٧٠	ظرفا ماء ورد
٣٠٠	ابريق خزفا
٢٠٠	جرة
١٠٠٠	شربة
٥٠	مركنا
٥٠	صحنا مهلبية
٩٠٠	رطل فستقا ، وبندقاً

---

(١) الجلاب : بتشديد اللام وتخفيفها هو : شراب من عسل أو سكر مخلوط بماء الورد بوزنه أو أكثر . والكلمة فارسية مركبة من كلمتين هما : « گل » بمعنى ورد . والثانية « آب » بمعنى ماء . وهو بالفرنسية julep ص٤٢ من الالفاظ الفارسية المعربة .

(٢) ما يحمل على الظهر من الثياب . وكارة القصار سميت بذلك لانه يكوّر ثيابه في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض . ويظهر أنها هنا كيس من الدقيق ، بمقدار معلوم أو وزن معين منه .

(٣) فطائر مثلثة تعمل من رقاق العجين المعجون بالسمن ، وتحشى بقطع اللحم والجوز . ويطلق عليه عندنا اليوم السنبوسك وهي لغة فيه . راجع : الالفاظ الفارسية المعرّبة ص ٩٥ .

(٤) الشموع الكبيرة التي تحمل في المواكب للانارة .

٣٠٠	سلة فاكهة
٣٠	قطعة صور سكر منها : غزال ، وجملان ، وكبش الجبل ، وزرافة ، وفيل ، وكباش تركية
٥٠	ثوراً ذهبا وفضة

الى آخر ذلك من الأنواع والكميات المختلفة .

وبخطه أيضا : الذي وصل الى المطبخ من الاقامات الكريمة من خزانة الحوائج المحروسة في التاريخ المقدم ذكره ندرج منها :

١٠٠٠٠	ظرف ماء ورد
٥٠	رطلا قندا[١]
٢٠٠٠	رطل لوزا
٥٠	جرة شيرجا
٥٠٠٠٠	رطل شمعا
١٠٠٠	ظرف ماء الليمون
٣٠٠	رطل نشا[٢]
٥٠	ظرفا خل خمر
١٠٥٠	رطلا سُماقاً
١٠	مطابق ماء الحصرم
٣٠٠	رطل حب رمان
٣٠٠	رطل ملحاً
½	رطل زعفران
١٠	مطاويق ماء الأترج
١٥٠٠	صحن خزفا

الى آخر ذلك من الأجناس والكميات المختلفة .

وفي السابع والعشرين منه مد شرف الدين إقبال الشرابي أشياء لطيفة ،

---

(١) القند : عسل قصب السكر وقد استعملته العرب فقالوا : سويق مقنود ، ومقند . راجع : الجواليقي ص : ٢٦١ .

(٢) النشا : ما يستخرج من الحنطة اذا نقعت حتى تلين ، ومرست حتى تخالط الماء ، وصفيت من مناخل وجففت .

وأعلاقا نفيسة من صامت[1] ، وناطق[2] ، وغير ذلك .

وكذلك الوزير أبو طالب محمد ابن العلقمي ، واستاذ الدار أبو محمد يوسف ابن الجوزي . وولده عبدالرحمن ، والأمير مجاهدالدين ايبك المستنصري ، وصاحب الديوان أبو طالب الدامغاني ، وأبو الفتوح علي ابن الرومي حاجب الباب . وصاحب المخزن يحيى بن المرتضى . ومشرفه منصور بن عباس . والدويدار الكبير الطيبرس الظاهري ، والنقيب الطاهر الحسين ابن الأقساسي . وكذلك باقي أرباب الدولة ، والصدور كقاضي القضاة عبدالرحمن ابن اللمغاني ، والعارضين ... وحاجب باب المراتب ... ثم سائر الزعماء[3] .

ومن حفلات الختان الكبرى ما ذكره ابن وهّاس الخزرجي في سنة ٦٥٠هـ قال : وفي شهر ربيع الآخر كان ختان الأمير الصغير أبي المناقب ابن الامام المستعصم بالله . واستُدعي الجماعة الذين ختنوا معه الى دار أبيه وهم : الأمير أبو جعفر منصور ابن الأمير السيد أبي القاسم عبدالعزيز ابن الامام المستنصر بالله ، وكشلوخان ابن الدويدار الصغير ايبك المستنصري . والأميران عبدالله واسحق ابنا الدويدار الكبير الطيبرس الظاهري . وزنكي ابن الأمير محمد بن قيران . ونفذ مع ابن أخي الخليفة صندوق من فاخر الثياب ، والزركش ما قيمته ٣٠٠٠ دينار ، و ٧ أكياس فيها سبعة آلاف دينار . ونُفذ مع ولد الدويدار الصغير صندوق فيه ستة آلاف دينار ، وما قيمته ألف دينار . ثم مع ولدي الدويدار الكبير كذلك . ثم مع ولد ابن قيران صندوق فيه ألف دينار ، وثياب تناسب ذلك . ثم خلع على الطبيب ، وعلى بواب دار التشريفات ، وعلى وكيل الخدمة . وعمت الخلع والمبار خلقا كثيرا . ثم عرضت التهاني والمدائح ...[4]

---

(١) المال الصامت : الذهب ، والفضة .

(٢) المال الناطق : الحيوان من الابل ، والخيل ، والغنم .

(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٩ ـ ١٧٠ . وقد وردت : الدامغاني والصحيح : اللمغاني .

(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٠ .

حضور الترب بالرصافة :

ومن التقاليد والرسوم المتبعة في تشييع الموتى ما ذكره ابن وهاس الخزرجي عندما توفيت السيدة « ست العرب » بنت الأمير أبي القاسم عبدالعزيز ابن الامام المستنصر بالله • فقد ركب الوزير وكافة أرباب الدولة بالثياب البيض بغير طرز ، ولا رفع غاشية ، ولا اشهار سيف ، ولا لبس مداس • ثم قال : وخرجت الجنازة محمولة على رؤوس الخدم فصلى عليها شيخ الشيوخ بحضور الخليفة • ودفنت في تربة الرصافة • وحضر الامراء ، والفقهاء ، والقضاة ، والمدرسون ، ومشايخ الرُبط ، والصوفية ، والوعاظ ، والقراء ، والشعراء • وقرئت الختمة • ودعا الخطيب • وأنشدت المراثي والتعازي[1] •

وفي ٢٩ من جُمادَى الآخرة سنة ٦٤٥هـ حضر مَنْ جرت عادته بالحضور في ترب الرصافة من أرباب الدولة ، والزعماء ، والمدرسين ، والفقهاء ، ومشايخ الصوفية ، والوعاظ ، والقراء ، والشعراء • ولم يحضر الوزير ولا استاذ الدار لأجل سفر الخليفة[2] •

وفي شهر رجب سنة ٦٤٦هـ ركب الوزير متوجها الى ترب الرصافة بعد أن حضر عنده سائر أرباب الدولة ، وذوو المناصب • ودخل على عادته مجتازا بدار الخلافة الى دجلة • ونزل في شُبَّارة مُصْعِدا الى ترب الرصافة ، والجميع بين يديه ، فقرئت الختمة • ووعظ ابن الجوزي • ودعا خطيب جامع القصر • وأنشد الشعراء[3] •

وفي ٢٨ من جُمادَى الآخرة سنة ٦٥٢هـ مضى الوزير وسائر أرباب الدولة وذوو المناصب والأمراء ، والمدرسون ، والقضاة ، ومشايخ الرُبط ، والصوفية ، والفقهاء ، والوعاظ والقراء ، والشعراء ، الى ترب الرصافة • وجرت الحال في القراءة والوعظ وانشاد الأشعار على العادة[4] •

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٠ •
(٢) العسجد المسبوك • الورقة ١٧١ •
(٣) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٤ • لاحظ أيضا الورقة ١٧٧ وغيرها •
(٤) العسجد المسبوك • الورقة ١٨٤ •

الرسوم الرجبية :

ويظهر أن الخليفة وحاشيته كانوا يوزعون صدقات كبيرة في شهر رجب من كل سنة • ويظهر أن هذه الرسوم الرجبية كانت توزع على أربابها في غرة شهر رجب بالبدرية[١] يسلمها إقبال الشرابي الى مستحقيها من أهل العلم ، وأرباب البيوتات • ففي غرة رجب سنة ٦٤٢هـ فرّقت الرسوم الرجبية بالبدرية على أربابها • وانفصل أهلها داعين[٢] •

وفي يوم السبت ثامن شهر رجب سنة ٦٤٥هـ فرّقت الرسوم الرجبية من البر المتقبل بالبدرية • وسلمها شرف الدين إقبال الشرابي الى أربابها بحضور السادة الامراء ، أولاد الخليفة • وأوردت أشعار لبعض أرباب الرسوم • وقد أنشد بهذه المناسبة أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد كاتب الانشاء في دار الخلافة قصيدة طويلة تجد بعضها في العسجد المسبوك[٣] •

وفي شهر رجب من سنة ٦٤٦هـ فرّقت الرسوم الرجبية من البر المتقبل على أربابها من يدي إقبال الشرابي[٤] أيضاً •

وفي رجب سنة ٦٤٨هـ فرّقت الرسوم المتقبلة على أربابها من أهل العلم ، وأرباب البيوتات[٥] •

الرسوم الرمضانية :

ويظهر ان الخلفاء وكبار رجال دولتهم كانوا يخلعون على الناس على قدر أحوالهم • وتعد هذه الخلع من صدقات عيد الفطر • وكانوا يشرعون في توزيعها ابتداءا من الخامس والعشرين من شهر رمضان فمابعده • وكان مجموع ما وزع في عيد الفطر من سنة ٦٤٢هـ مثلا نيفاً وستة آلاف خلعة

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٦ ، ١٦٧ •
(٢) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٦ •
(٣) الورقة ١٧١ •
(٤) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٤ •
(٥) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٧ •

فيما قاله ابن الخازن[1] وقد فرّقت هذه الخلع من المخزن ، ومن أرباب الدولة على الصورة الآتية :

١ ـ فرّقت خلع المخزن على أربابها في ٢٥ شهر رمضان جريا على العادة ، وجملتها ٢٢٠٠ قطعة • منها : الأثواب الطلس ، والبقايير المذهبة ستون قطعة ، والأثواب الخار[2] ، والبقايير القصب الحريرية ٤٠ قطعة • والأثواب الغزلية والبقايير المذهبة ستون قطعة •••

٢ ـ بلغت خلع شرف الدين إقبال الشرابي المستنصري « ١٨٠٠ » خلعة وزعها في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٤٢هـ •

وخلع الدويدار الصغير ١٥٠٠ خلعة في اليوم السابع والعشرين منه •

ثم خلع استاذ الدار يوسف ابن الجوزي خمسين خلعة •

ثم خلع صاحب الديوان أحمد ابن الدامغاني ٣١٥ خلعة •

ثم خلع الدويدار الكبير ٧٠٠ خلعة •

ثم خلع باقي الامراء ، وأرباب الدولة على قدر أحوالهم فكان جملة ما خُلع في هذا العيد نيفا وستة آلاف خلعة •

وفي شهر رمضان سنة ٦٤٥هـ فتحت دور الضيافة في جانبي بغداد • ووضعت الأطعمة لأجل فطور الفقراء • وفرّقت الوظيفة الرمضانية من الدقيق ، والغنم ، والذهب لجميع المدارس ، والأربطة ، والمشاهد ، وزوايا الفقراء بالمساجد • وعرضت اتهاني بشهر رمضان[3] •

وفي غرة شهر رمضان سنة ٦٤٨هـ فرّقت الوظيفة من الذهب ، والدقيق ، والغنم ، على أرباب المدارس ، والأربطة ، والزوايا جرياً على العادة • وفتحت دور الضيافة في جانبي مدينة السلام[4] •

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٦ •

(٢) الخار : النسيج من الحرير تتخذ منه ثياب • ولا زالت الكلمة مستعملة في أسواق الاقمشة •

(٣) العسجد المسبوك • الورقة ١٧١ ، ١٧٢ •

(٤) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٨ •

وفي غرة رمضان سنة ٦٥٢هـ فرّقت الوظيفة الرمضانية بالمخزن من الدقيق ، والغنم ، والذهب ، على أرباب المدارس ، والأربطة ، والزوايا ، والمساجد • وفتحت دور الضيافة ، وصُنعت بها الأطعمة لفطور الفقراء جريا على العادة[١] •

وفي ٢٥ شهر رمضان سنة ٦٥٢هـ فرّقت الخلع على أربابها من الحاشية ، والخدم ، والفراشين • وكانت ٨٦٠ قطعة[٢] •

الأعيـــاد :

وكانوا يحتفلون بعيدي الفطر ، والنحر احتفالات كبيرة خارج الأسوار • فقد جاء في كتاب العسجد المسبوك • قوله : في يوم الأربعاء غرة شوال سنة ٦٤٥هـ عيّد الناس عيد الفطر ••• ثم قوله : خرج العسكر ومقدّمه مجاهدالدين ايبك الخاص المستنصري • وكان ركوبه بعد طلوع الشمس في الأضواء والشموع • وكان بين يديه مئة موكبية كبار ، وخمسون حَويّة فيها أثواب ذهب وفضة • وكان بين يديه من الجُنُب العربيات بالسروج الذهب مئتا فرس ، على يد مئتي مملوك ••• وتبعه الأمير شجاع الدين الطيبرس الظاهري ، وبين يديه ما يقرب من ذلك • ودونه موكب الأمير حسن بن كرم • ثم عسكر شرف الدين إقبال الشرابي ، وفيه من التّجَمّل عَدداً وعُدداً ما يزيد على الجميع • ثم الأمراء الصغار • ثم موكب الخليفة وفيه : المماليك الترك ومماليكهم ما يزيد على خمسة آلاف • ثم موكب الديوان • وصلّوا صلاة العيد في المصلى ظاهر البلد قريب غروب الشمس • وعادوا الى الديوان وفيه الوزير وسائر أرباب الدولة[٣] •

وفي غرة شوال سنة ٦٤٦هـ خرجت العساكر الى ظاهر البلد •

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٨٥ •
(٢) العسجد المسبوك • الورقة ١٨٥ •
(٣) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٢ •

وخرج موكب الخليفة بحجبة موكب الخاص إقبال الشرابي ، في أحسن زي ، وأجمل ترتيب ، وأكمل عدة ، وأملح تأديب • وركب الوزير على عادته الى الديوان ، وأورد الشعراء التهاني • ولم يركب الشرابي لضيق الوقت[1] •

ونختتم هذا الفصل عن أعمال الشرابي الخيرية بما اقتبسناه من مقامة المؤرخ ظهيرالدين الكازروني فقد ذكر البدرية من أبواب دار الخلافة التي يسكن بها الخليفة وقال :

« يسكن بها الشرابي أحد خدمه وصاحب الحكم في داره ، وخاص الخواص ، وسيد العام والخاص ، وزعيم الجيوش والقواد ، ومالك الأمر في البلاد ، واليه ترجع المماليك والخدم ، وعلى يده تفض الأموال والنعم • فمنها انه في كل عام يجلس للخاص والعام ، ويفض من المبارّ ما يجاوز حد الاكثار ، فيشمل بعطائه الداني والقاصي ، ويعم بنائله المطيع والعاصي •

يكاد يحكيه صوب الغيث منهمرا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

فيستمر على ذلك أياما ، يعطي فيها أموالاً جساماً ، نيابة عن مولاه ، اذ هو أجل من يتولاه ، الا أنه يشاهد فض الأموال من وراء الحجاب ، ويسمع ابتهال المخلصين بالدعاء المجاب • فاذا انقضت أيام العطاء ، انتصب لتدبير مُلك الزوراء ، مشيرا بالمصالح ، ومنبهاً على الخير اللائح • وله مركوب يوقف بها الى الليل •[2] ، ثم يحمل الى مقام الخيل ، تحفه غلمان كالعقبان ، وتزفه في موكب من العقيان » •

---

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٤ ، لاحظ الورقة ١٧٨ أيضا •

(٢) كذا ورد في النص • والظاهر ان المقصود ان له محفة يطوف بها على المصالح « من شرح السيدين الاخوين كوركيس عواد وميخائيل عواد » ص ٢٠ ــ ٢١ من المقامة •

الفهرست

الصفحة	المـــــادة
٥	المقـــدمة
	الفصل الاول
٧	مصادر البحث في تاريخ الشرابي
	الفصل الثاني
١٥	عصر الشرابي ببغداد
	الفصل الثالث
٣١	سيرة الشرابي بين سنة ٦١٥هـ و ٦٥٣هـ
٣٣	١ ـ الشرابي في صباه
٣٥	٢ ـ تمكنه من دار الخلافة
٤٣	٣ ـ خدمته لوالدة المستعصم عند حجها
٥٠	٤ ـ أصحاب الشرابي وخواصه
٥٢	٥ ـ تشريفه الناس بلباس الفتوة
٥٣	٦ ـ هبات الشرابي
٥٤	٧ ـ اخلاصه للمستنصر
٥٦	٨ ـ رعاية الشرابي للعدّائين والرياضيين
٥٨	٩ ـ عناية الشرابي بحمام الزاجل
٥٨	١٠ـ ثروة الشرابي ووكلاؤه
٦٢	١١ـ ديوان الشرابي ودوره ببغداد والحلة ومكة
٦٣	١٢ـ وفـــاته
	الفصل الرابع
٦٥	نفوذ الشرابي في الدولة العباسية

الفصل الخامس

٧٣ حياة الشرابي العسكرية

٧٥ ١ ـ فتح اربل سنة ٦٣٠هـ

٧٩ ٢ ـ الاستيلاء على اربل بعد حصار المغول لها سنة ٦٣٤هـ

٨١ ٣ ـ رد جيوش المغول عن بغداد سنة ٦٣٤هـ وسنة ٦٣٥هـ

٨٤ ٤ ـ رد المغول عن بغداد سنة ٦٤٢هـ وسنة ٦٤٣هـ

الفصل السادس

٩١ مدارس الشرابي واعماله الخيرية

٩٥ الختان

١٠٠ حضور الترب بالرصافة

١٠١ الرسوم الرجبية

١٠١ الرسوم الرمضانية

١٠٣ الاعياد

من آثار المؤلف المطبوعة

أولا ـ كتب ورسائل :

١ ـ المنتخبات الادبية · بغداد ـ مطبعة الكرخ سنة ١٩٣٥ ·

٢ ـ المدرسة المستنصرية · بغداد ـ مطبعة دنكور سنة ١٩٣٥ ·

٣ ـ مقدمة في تاريخ المستنصرية وعلمائها · بغـداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٥٨ ·

٤ ـ علماء المستنصرية · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٥٩ ·

٥ ـ تاريخ علماء المستنصرية في مجلد واحد · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٥٩ ·

٦ ـ المدخل في تاريخ الحضارة العربية · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦٠ ·

٧ ـ المدرسة الشرابية · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦١ ·

٨ ـ خطط بغداد · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦١ ·

٩ ـ تثنية الاسماء التاريخية · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦٢ ·

١٠ ـ التوقيعات التدريسية · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦٣ ·

١١ ـ عروبة المدن الاسلامية · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦٤ ·

١٢ ـ المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة · بغداد ـ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٥ ·

١٣ ـ تاريخ علماء المستنصرية في مجلدين · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦٥ ·

١٤ ـ مقـدمة في تاريخ مدرسة ابي حنيفة وعلمائها · بغـداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦٥ ·

١٥ ـ علماء ينسبون الى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية · بغـداد ـ مطبعة الحكومة سنة ١٩٦٥ ·

١٦ ـ نشأة المدارس المستقلة في الاسلام · بغداد ـ مطبعة الازهر سنة ١٩٦٦ ·

١٧ ـ حياة اقبال الشرابي • بغداد ـ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ •

١٨ ـ مدارس واسط • بغداد ـ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ •

١٩ ـ مدارس مكة • بغداد ـ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ •

ثانيا ـ كتب للمؤلف مع مؤلفين آخرين :

٢٠ ـ المطالعة العربية الحديثة ثلاثة أجزاء • بغـداد ـ مطبعة النجاح سنة ١٩٣٤ •

٢١ ـ تاريخ العرب (عدة طبعات بعدة مطابع) سنة ١٩٤٩ فما بعدها •

٢٢ ـ موجز تاريخ الحضارة العربية (عدة طبعات بعدة مطابع) ـ بغداد سنة ١٩٤٩ فما بعدها •

٢٣ ـ دروس التاريخ (عدة طبعات بعدة مطابع) ـ بغداد •

٢٤ ـ تاريخ العرب في القرون الوسطى (عدة طبعات بعدة مطابع) ـ بغداد •

ثالثا ـ بحوث مختلفة في المجلات العراقية : كمجلة كلية الآداب ومجلة الكتاب ، والاقلام ، والمعلم الجديد ، والاجيال ••• ومجلة كلية الشريعة ••• الخ •

١ ـ تكوين رأي عام لعقد مجمع للتشريع الاسلامي •

٢ ـ أسلوب البحث العلمي عند المحدّثين •

٣ ـ تكوين الجيل الصالح

٤ ـ بلاد اوربية حضّرها العرب •

٥ ـ أول تأميم في العراق •

٦ ـ أول جامعة ببغداد •

٧ ـ الضمان الاجتماعي في الاسلام •

٨ ـ موارد الضمان الاجتماعي في الاسلام •

٩ ـ ضوء جديد على أوقاف المستنصرية •

١٠ ـ مشروع الضحية •

١١ ـ خزانة المستنصرية •

١٢ ـ مدارس الشرابي وأعماله الخيرية •

١٣ ـ عصر الشرابي ببغداد •

0386 PD-35496
9-17
cc

Date Due

Demco 38-297

PERMA-BOUND
PAT. NO. 3,161,423

NYU - BOBST
31142 02824 1605
DS79.8.S5 M3 Hayat Iqbal al-Sharabi

THE LIFE

OF

IQBAL AL SHARABI

by

Prof. Naji Marouf

Member Public Civil Service Board

Al - Irshad Press

Baghdad { 1385 A.H
1966 A.D